مَلِكُ الْعَالَمِ

الشيخ عبد الواحد يحيى



تنْوِيه

تعمل ترجمات 'تراث واحد One Tradition' على نقل آداب الحضارات العريقة فى الشرق والغرب إلى اللسان العربى، للذين تسمح ذائقتهم بالاستمتاع بأعمال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى وجلال الدين الرومى، وغيرهما من حكماء العالم العربى والإسلامى، ويجدون سعادتهم فى قراءتها، وقد حضَّنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والحكمة فقال: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: "الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا".

وتعتبر هذه الأعمال التى نقدمها مفتاحًا لفهم الحضارات الهندوسية والطاوية والبوذية واليونانية القديمة، من حيث جوهرها الذى تجلى به الله تعالى عليها جميعًا.

ولعل ما يُضفى هذه الأهمية الكبيرة على كتب هذه المدرسة أنها تتناول بشكل أساسى موضوعات خمسة، هى علم الحقيقة أو ما وراء الطبيعة، والعقل المُلهَم، والتصوف المعرفى، والأديان مِن حولنا، ومشكلات العالم الحديث.

وهذه الأفكار والموضوعات بمركزيتها تستحق أن تخرج إلى اللسان العربى فى ترجمات شتى، لما قد يحمله ذلك من إيضاح وتفسير لها، وعونًا للقارئ على فَهم ما صَعُبَ منها.

ونأمل بترجمتنا تلك أن نكون قد نقلناها إلى مهدها القديم، وحاضنتها الأولى وهى اللغة العربية التى ألهمت أجيالًا من الأولياء والعارفين على مدار قرون عدة.

أخيرًا، ورغم ما بذلناه من جهد وعناية فى مراجعة نصوص هذه الكتب، إلا أننا نلتمس مقدَّمًا من القارئ الكريم العذرَ فى النزر مِن الخطإ الذى قد يكون تفلَّت منَّا سهوًا، فصادفه هنا أو هناك بين صفحاتها.

المحتويات

1

أفكارٌ غربيةٌ عن آجَارتْها

يحتوى كتاب ’بعثة إلى الهند‘ الذى نشر عام 1910 بعد وفاة كاتبه سانت إيف دالفيدر *Saint-Yves D'Alveydre*[1] على وصف مركز التربية الروحية الغامض الذى يسمى آجارتها، ولا شك أن معظم قرائه قد افترضوا أن ذلك لا يعدو خيالا أو رواية لا أساس لها من الحقيقة. ولو أنها فُهِمَت حرفيا فإنها ستحتوى على أمور غير محتملة الحدوث تبرر مثل هذا الحكم، خاصة عند الذين تعودوا على الحكم بالمظاهر. ولا جدال فى أن الكاتب كان لديه أسباب مقنِعَة تدعو إلى عدم نشره الكتاب الذى كُتِبَ قبل وفاته بزمن طويل ولكنه لم يكتمل أبدا. أضف إلى ذلك أن أوروبا لم يكن فيها شئ يُذكَرُ عن آجارتها ومعلمها براهماتما، اللهم إلا ما كتب كاتب سطحى يسمى لوى جاكوليو *Louis Jacolliot* 1837-1890، ونربأ بأنفسنا أن نقتبس عنه شيئا. وفى رأينا أن جاكوليو قد سمع عنها فى الهند إلا أنه خلق وهمه الذاتى عنها كما كان دأبه فى كل مؤلفاته[2]. وفجأة ظهر فى المشهد الأوروبى كتاب عنوانه ’وحوش ورجال وأرباب *Beasts, Men and Gods*‘ عام 1924 لكاتبه فرديناند أوسِّيندوفسكى *Ferdinand Ossendowki* يحكى فيه وقائع رحلته الحافلة بالأحداث عبر وسط آسيا عامى 1920 و1921، والتى احتوى جزؤها الأخير على وقائع تكاد تتطابق مع ما قاله سانت إيف، وفى اعتقادنا أن الانفعالات التى ترتبت على ظهور هذا الكتاب تبرر كسر الصمت الذى أحاط بموضوع آجارتها.

وقد انكبَّ النقاد العدوانيون والشكاكون على اتهام أوسِّيندوفسكى بالقرصنة على كتاب سانت إيف، واستندوا على ذكر فقرات متطابقة فى الكتابين، والحق إنها كانت كثيرة العدد وتتطابق إلى حد التفاصيل أحيانًا. وفى البداية يؤكد سانت إيف على وجود عالم سفلى تحت

---

[1] الطبعة الثانية 1949.

[2] ومن بينها أبناء الرب *Les Fils de Dieu*، الروحانية فى العالم، والتربية الروحية والعلوم الغيبية فى الهند والعالم القديم *Le Spiritisme dans le Mond*، والكتاب المقدس فى الهند، وأصول الوحى اليهودى والمسيحى *Bible dans l'Inde*.

القارات والمحيطات، وله فروع فى كل أينٍ تتواصل بشكل لامنظور مع كافة أنحاء البسيطة، ولا يثبت أوسِّيندوفسكى ذلك على مسئوليته حتى إنه أقرَّ بأنه لا يدرى ماذا يعتقد حيالها، ولكنه يعزوها إلى أقاويل لأقوام صادفها فى رحلته. وكذلك يحتوى على فقرة مثيرة عن ’ملك هذا العالم‘ وصورته أمام قبر سلفه، وهو أمر له علاقة بأصول الغجر[3]، وهم من بين الذين عاشوا فى آجارتها أصلاً. ويقول سانت إيف إن هناك لحظات تواكب احتفال العالم السفلى ’بأسرار الكون‘ يكفُّ فيها المسافرون فى الصحراء والحيوانات عن الحركة والنطق، ويؤكد أوسِّيندوفسكى أنه حضر بشخصه إحدى لحظات هذا التأمل الكلى[4]. ولكن أغرب مصادفة فى هذا السياق أن الكاتبين يحكيان عن جزيرة اختفت حاليا عاش فيها ناس متفوقون وحيوانات غريبة، ويحكى سانت إيف هذه الحكاية نقلا عن تيودوروس الصقلى فى سياق الحديث عن رحلة إيامبولوس، فى حين يصف أوسِّيندوفسكى رحلة بوذى من نيبال، إلا أن ما قالاه عن الجزيرة لا يكاد يختلف، فلو كانت القصة ذاتها تُروى عن مصدرين متباعدين بهذه الدرجة فإن الأمر يستدعى تدقيقا أشد.

ورغم أننا أشرنا إلى التشابه بينهما فلا يعنى ذلك اقتناعنا بأن هناك قرصنة، ولا ننوى الدخول فى مهاترات عن أمر محدود القيمة. فنحن نعلم من مصادر أخرى لا علاقة لها ببراهين أوسِّيندوفسكى أن قصصا من هذا النوع تنتشر فى مونغوليا ووسط آسيا كما فى معظم الأديان التراثية. زد على ذلك أنه لو كان أوسِّيندوفسكى قد سطا على كتاب ’بعثة إلى الهند‘ فلماذا حذف فقرات بعينها أو غير من بعض كلماتها مثلما وضع كلمة *Agharti* فى موضع *Agarttha* على سبيل المثال؟ ويسهل تفسير ذلك بأنه قد حصُلَ على معلوماته من مصدر مونغولى فى حين حصل سانت إيف على روايته من مصدر هندوسى، وقد نقل سانت إيف عن مصدرين هندوسيين على أقل تقدير[5]، كما لا يسهل فهم السبب الذى جعله يلجأ إلى ذكر لقب ’ملك هذا العالم‘ مرتبطا برأس الطائفة، وهو لقب لا يظهر فى كتاب ’بعثة إلى الهند‘. وحتى لو سمحنا بشىء

---

[3] ونرى من جانبنا أن وجود شعوب ’مبتلاة بالمحن‘ مثل الغجر مسألة تستحق البحث.

[4] وقد لفت آرتورو ريجينى النظر إلى احتمال وجود علاقة بين هذا الأمر وبين *pancus timor* من الزمن القديم، وهى أقرب إلى الحقيقة.

[5] وقد حاول مناهضو أوسِّيندوفسكى أن يفسروا ذلك بوقوعه على ترجمة روسية لكتاب ’بعثة إلى الهند، ووجود هذه الترجمة أمر مشكوك فيه بموجب أن ورثة سانت إيف لا علم لهم بها، وقد لاموا أوسِّيندوفسكى على كتابة المقطع المقدس أم *Om* بينما كتبها سانت إيف آوم *Aum*، والواقع أن الثانية إملاء صوتى لعناصر المقطع كما أن الأولى صحيحة وتناظر المنطوق الفعلى فى الهند والتبت ومونغوليا. وهذه المسألة وحدها كفيلة بفضح كفاءة النقاد.

من اقتباس فإن أوسّينِدوفسكى يحكى أمورًا لم تُذكَرَ فى 'بعثة إلى الهند'، ولا شك أنه لم يكن قادرا على اختراعها، خاصة وأن جُلَّ اهتمامه كان منصبا على السياسة منه على أمور المذاهب أو الأفكار، وكان جاهلا بكل ما له علاقة بالجوانية التى لم يكن يفقه عن أهميتها الحقيقية شيئا. فهو يحكى على سبيل المثال عن 'حجر أسود' أرسله 'ملك هذا العالم' أصلا إلى دالاى لاما، وانتقل منه إلى أورجا فى مونغوليا حيث اختفى منذ ما يقرب من مائة عام[6]. وقد ظهر فى كثير من الأديان 'أحجار سوداء' تتراوح بين أداة العرافة عند كيبيل *Cybele* وبين 'الحجر الأسعد' فى الكعبة[7]. وهناك مثال آخر فى 'باجدو خان أو بوذا الحىّ' الذى يقطن أورجا، ويكتنز خاتم جنكيز خان المحلى بصليب معقوف، ولوح برونزى يحمل خاتم 'ملك هذا العالم'، ويبدو أن أوسّينِدوفسكى قد تمكن من رؤية الخاتم فقط، ويكاد يستحيل عليه اختراع اللوح، وكان من الطبيعى أن يقول عنه إنه مجرد لوح من ذهب.

وسوف نكتفى بهذه الملاحظات المبدئية حيث إننا نفضل الابتعاد عن المحاورات الجدلية الدائرة عن سانت إيف وأوسّينِدوفسكى حتى لو اتخذنا منها نقطة انطلاق لاعتبارات لا شأن لها بما يعتقد كلاهما، وتتجاوز أهميتها ببون شاسع كل الأمور الفردية بما فيها نحن أنفسنا. ولا نحن سعينا إلى إنجاز 'نقد نصى' تافه بل إلى طرح أمور نعلم أنها لم تُنشر حتى الآن، وقد يُعين ذلك على أن نعبر عما أسماه أوسّينِدوفسكى 'سر الأسرار'[8].

---

[6] ولم يكن أوسّينِدوفسكى يعلم أن الحجر الأسود نيزك، وحاول أن يفسر الظاهرة بأنه نوع من الإردواز.

[7] كما يمكن استنتاج علاقتها بحجر أسود *lapsit exellis* سقط من السماء تظهر عليه كتابة ما فى بعض الأحوال عند طائفة الكأس المقدس *Grail* المسيحية كما يقول *Wolfram von Eshenbach*، والغريب فى أقواله أن الكأس المقدس قد انتقل فى نهاية المطاف إلى ' مملكة بريستر جون *Prester John*'، والتى حاول البعض أن يعزوها إلى مونغوليا رغم أن المواضع الجغرافية لن تكون مقبولة فى هذه الحالة. راجع كتابنا *The Esoterism of Dante, ch. 4.*

[8] وقد أصابتنا الدهشة مؤخرا حين سمعنا أن البعض يحاول اتخاذ هذا الكتاب 'شِهادة' فى صالح شخصية لا علم لنا بوجودها ساعة كتابته، وننكر بحزم هذه الآراء أيا كان مصدرها، فلم تعد غايتنا الحديث عن الرمزية التراثية التى لا شأن لها بأى 'تشخيص' كان.

2

الملكية والفقهية

ينطبق لقب ’ملك هذا العالم‘ بأسمى معانيه وأكملها وأشدها انضباطا على مانو، وهو المُشَرِّعُ الأولانى القديم الذى ظهر اسمه بين شعوب عظمى، ولنذكر أمثلة على ذلك فى مينا *Mena* أو مينيس *Menes* عند المصريين ومينو *Menw* عند الكلتيين ومينوس *Menos* عند الإغريق[9]. كما أن ذلك الاسم لا يعنى شخصية أسطورية ولكنه مبدأ ’الذكاء الكونى‘ الذى يعكس النور الروحى فى صياغته لقانون دهارما، أى طبائع الأمور التى تتوافق مع أحوال الدنيا فى دورة زمنية للوجود، وهو فى الآن ذاته المثال العلوى للإنسان ككائن مفكر مانافا.

ويمكن أن يتجلى هذا المبدأ فى مركز روحى يقوم فى العالم الأرضى بنفوذ طائفة رسالتها الحفاظ على بقايا التراث المقدس الذى لا ينتمى إلى أصل إنسانى آباوروشيا، والذى تسرى منه الحكمة الأولانية عبر العصور إلى القادرين على استقبالها. ورأس هذه الطائفة مندوب عن مانو ذاته بشكل ما، ومن حقه أن يحمل لقبه وصفاته، ناهيك عن مقام المعرفة الذى بلغه بحيث يتمكن من التماهى مع المبدإ ليصبح تعبيرا إنسانيا عنه، وتَّمحى أمامه الفرديات كافة. والحق أن ذلك كان شأن آجارتها، ويدفع سانت إيف بأن هذا المركز قد أخذ على عاتقه الحفاظ على ميراث ’العصر الشمسى سوريا فان شا‘، والذى انتشر فيما سلف فى آيودهيا[10]. وبصرف النظر عن التحفظ السابق فما يقوله سانت إيف يكمل ما قاله أوسِّيندوفسكى، فقد دأب الكاتبان

---

[9] وقد كان مينوس عند اليونانيين مشرّعا للأحياء وقاضيا للموتى فى الآن ذاته، وتنتمى هاتين الوظيفتين فى الهندوسية إلى التوأمين مانو ويا ما على الترتيب، وهو مثال لانقسام مبدإ واحد إلى مبدأين نتيجة اختلاف المنظور والأحوال.

[10] ولم يكن اصطلاح ’الكنيسة البراهمانية‘ مستخدما فى الهند سوى فى طائفة لا أرثوذكسية حديثة تماما هى براهمو ساماج، والتى قامت فى بدايات القرن التاسع عشر تحت رعاية الأوروبيين وخاصة البروتستنت، ومن ثم تفاقمت إلى طوائف فرعية متنافسة، وقد كاد نفوذها أن يخبو الآن تماما. ومن العجب أن بين هذه الطوائف جد الشاعر رابندرانات طاغور.

كلاهما على رؤية الجوانب التى تتفق وميولهما وانشغالهما الغالب، فالحق أن فى هذا الأمر قوة مزدوجة ’فقهية وملكية‘ فى آنٍ. فالفقيه بالمعنى الصحيح هو رأس هذه الطائفة الروحية بلا نزاع، والمعنى الحرفى لكلمة *Pontifix* هو ’بانى الجسور‘. ويستلزم ذلك شرح المصطلح اللاتينى ’الماسونى‘ الأصل الذى يرمز إلى وظيفة التوسط التى تصل بين هذا العالم والعوالم الأعلى[11]، وقد كان قوس قزح ’جسرا سماويا‘ ورمزا طبيعيا للفقيه الذى تسبغ عليه الأديان التراثية معانىَ مناظرة، فهو عند اليهود عهد الله لبنى إسرائيل، وهو فى الصين آية لتوحد السماء بالأرض، وعند اليونانيين هو إيريس *Iris* ’رسول الأرباب‘، وقل مثل ذلك عن الشعوب الإسكندنافية والفارسية والعربية وشعوب وسط أفريقيا وكذلك شعوب أمريكا الشمالية، فهو جسر يربط الدنيا المنظورة بالعالم اللامنظور.

وقد تمثل هذا التوحيد بين قوتى الفقه والملكية عند الرومان فى رمزية يانوس *Janus*، وهى رمزية مركبة بالغة التعقيد، وهو حامل مفتاحين من الذهب والفضة يناظران طريقين روحيين[12]. وبالمصطلح الهندوسى فهما طريقا البراهمة والكاشاطريا، ولكن على قمتهما مبدأ مشترك يستقيان منه صفاتهما، وهو إذن متعالٍ عن التمايز حيث إنه مصدر أية سلطة مشروعة وعماد ممارستها فى أى مجال كان، وقد كانت طائفة آجارتها متعالية على الطبقات أتيفارنا.

وقد ظهر فى العصور الوسطى تعبير عن هذين الجانبين المتكاملين بشكل مدهش. فقد تردد حينذاك ذكر منطقة تسمى ’مملكة بريستر جون *Kingdom of Prester John*‘[13]. وقد كان ذلك فى زمنه أشبه بما نسميه ’الغطاء الظاهر‘ لمركز التربية الروحية المقصود، والذى تشكل من النساطرة أو من اسموا أنفسهم بذلك، والصابئة الذين يطلقون على أنفسهم ’ مندائيى يحيى‘ أى ’تلامذة يوحنا‘[14]، وهو جون باللاتينية. ومن الغريب أن كثيرا من الطوائف الشرقية المغلقة

---

[11] وقد قال القديس برنار ’إن الفقيه *pontiff* جسر بين الله والإنسان‘. *Tractatus de Moribus et Officio Episcoporum, III,9.*

[12] ويرمز المفتاحان من منظور مختلف إلى ’الأسرار الكبرى‘ و’الأسرار الصغرى‘ فى بعض الأيقونات عن يانوس، وقد استبدلا بمفتاح من ذهب وصولجان من فضة.

[13] وقد نشأت قصة بريستر جون فى زمن القديس لويس تقريبا، وتتعلق برحلات كاربين وروبريكوس. وعقدة الحكاية أن هناك أربع شخصيات ينطبق عليهم الوصف ذاته فى التبت ومنغوليا والهند وأثيوبيا، ولكنها قد تكون مجرد تعبير مختلف عن القوة ذاتها، ويقال كذلك إن جنكيز خان أراد أن يغزو مملكة بريستر جون ولكنه أطلق على جيشه صواعق ردتهم عنه. ومنذ الغزو الإسلامى لم يعد يطرأ ذكر بريستر جون ولم يتجلى بأى درجة كانت، إلا أنه متمثل ظاهريا فى دالاى لاما.

[14] وقد عُثِرَ فى وسط آسيا وفى تركستان على الأخص على صلبان نسطورية تضاهى صلبان دروع الفرسان، وقد حمَل بعضها فى زخارفه رسم الصليب المعقوف. ويجدر ملاحظة أن لها صلة لا تُدحض مع اللامية، كما كان لها نفوذ فى الجوانية الإسلامية المبكرة، وقد ترك الصابئة أثرا عميقا على العالم العربى فى زمن

على ذاتها على شاكلة الإسماعيلية ودروز لبنان وأتباع شيخ الجبل فى سوريا قد ادعوا جميعا أنهم 'سدنة الأرض المقدسة'، وكان ذلك أيضا شأن طوائف الفرسان الأوروبية. وسوف يتضح معنى ذلك فيما يلى. ويبدو أن سانت إيف قد وجد تعبيرا مناسبا دون أن يعى حينما تحدث عن 'فرسان معبد آجارتها *Templar of Agarttha*'. وتحسبا لمن يندهش من تعبير 'الغطاء الظاهر' الذى استخدمناه توا سنضيف أنه لابد أن يُفهم أن التربية الروحية عند فرسان المعبد ليست هى ذاتها التربية الروحية عند الكاشاطريا، ويفسر ذلك شيوع رمزية طريق المحبة فضلا عن أمور أخرى[15].

وأيا كان الأمر فإن فكرة وجود فقيه وملك فى شخص واحد ليست واردة فى الغرب الحديث رغم أنها منحدرة من أصول مسيحية بحتة، إلا أنها ترتبط بشكل لافت بفكرة ' ملوك المشرق *Magi-kings*'. ولكن السلطة الأسمى قد انقسمت فى العصور الوسطى بين البابوية والإمبراطورية من ناحية المظهر على الأقل[16]. ويُعَدُّ ذلك الفصل علامة على هيكل سلطة ناقص الرأس، حيث لا نجد مبدأ مشتركا ترجع إليه السلطتان وتعتمدان عليه بشكل عملى، ولذا وجب البحث عن هذه السلطة فى نطاق آخر. أما فى الشرق فإن الفصل بين السلطتين أمر استثنائى، ولا يوجد إلا فى بعض المفاهيم البوذية أمر من هذا القبيل. ونقصد هنا الإشارة إلى عدم التقابس بين وظيفتى بوذا وتشاكرافارتى أو 'الملك الكامل'[17]، وقد خُيِّرَ شاكيامونى بينهما فى مرحلة مبكرة من حياته.

ونضيف كذلك أن اصطلاح تشاكرافارتى ليس بوذيا، ويدل على وظيفة أقرب إلى مانو أو ممثليه، ويعنى فى التراث الهندوسى حرفيا 'من يجعل العجلة تدور'، بما يعنى من يضع ذاته فى مركز كل شىء ويوجه حركتها ولكنه يبقى معصوما عن الحركة، أو هو بمثابة قول أرسطو 'المحرك الذى لا يتحرك'[18].

وحيث إن الدنيا تدور حوله فنؤكد أنه نقطة ساكنة ترمز إليها كافة الأديان 'بالقطب'،

خلفاء بغداد، كما قيل إن بقايا الأفلوطينيين قد وجدوا لهم ملاذا فيها بعد أن تركوا بلاد فارس.

[15] وقد عالجنا هذا الموضوع بتوسع فى كتابنا 'جوانية دانتى'.

[16] وقد كان الإمبراطور هو 'الفقيه الأعظم *Pontifex Maximus*' كذلك فى روما القديمة، كما أن نظرية الخلافة الإسلامية تدمج السلطتين معا إلى حد ما، كما كان أباطرة أسرة وانج يسيرون على المنوال ذاته.

[17] وقد نوهنا فى موضع آخر إلى التشاكل بين تشاكرافارتى وفكرة دانتى عن الإمبراطورية فى رسالته *De Monarchia*، وننبه إليه فى السياق الحالى.

[18] ويستخدم التراث الصينى تعبيرا مشاكلا هو ' الوسط الساكن *the Invariable Middle*'، ويحسن ملاحظة أن الرمزية الماسونية تفرض أن يجتمع الأساتذة فى 'الغرفة الوسطى'.

ويُمَثَّلُ له شكليا بدائرة عند الكلتيين والكلدانيين والهندوس[19]، وقل مثل ذلك عن مغزى الصليب المعقوف، وهو رمز قد انتشر فى كل أين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهو بالضرورة رمز ' القطبية'[20]، ولا جدال فى أن معنى ذلك لم يُعرف فى أوروبا الحديثة إلا الآن بعد أن شحذ الدارسين قرائحهم بنظريات خيالية وجهود عبثية فى تفسير هذه الرموز، وقد تملَّكت معظمهم فكرة ثابتة تحضهم على رؤية رمز الشمس فيها وفى كل الرموز الأخرى مما يعنى أنها عندهم أمر طارئ حادث نتيجة تشوه ما[21]. وقد اقترب بعضهم من الحقيقة حين أدركوا أن الصليب المعقوف رمز للحركة، ورغم أن هذا التفسير ليس خطلا إلا أنه غير كافٍ، فهى حركة دائرية حول محور ثابت فى نقطة ثابتة، ونكرر القول بأن ذلك هو ما يشكل العنصر الجوهرى للرمز المذكور[22].

ويتضح مما تقدم أن 'ملك هذا العالم' لابد أن تكون له وظيفة تنظيمية ضابطة *regulatory*، ولنضف إلى ذلك أن الكلمة الأخيرة مشتقة من الجذر الذى اشتُقَت منه كلمتا *rex* و*regere*، وهى وظيفة يمكن أن تلخصها كلمات مثل 'اتزان' و'تناسق'، وتترجمها كلمة دهارما السنسكريتية تماما[23]، والتى نفهم منها معنى انعكاس العالم المتجلى عن المبدإ الأسمى. وقس على ذلك الصفات الأصولية 'لملك هذا العالم'، ألا وهى 'العدل' و'السلام'، وهما لا تزيدا عن معنى 'الاتزان' و'التناسق' فى عالم الإنسان مانافالوكا[24]، وهى نقطة مهمة من حيث معناها

---

[19] وقد عاش رمز العجلة الكلتى حتى العصور الوسطى، ووجدت منه نماذج شتى فى الكنائس الرومانيسكية، والنوافذ الزجاجية الزهرية التى شاعت فى العمارة القوطية، ويبدو أنها مشتقة منها، فهناك علاقة خاصة بين رمز العجلة وبين شعار الزهرة مثل الوردة فى الغرب وزهرة اللوتس فى الشرق.

[20] ولكن لا علم للتنسك المسيحى برمز الصليب المعقوف، وقد رأينا فى دير قدماء الماسونيين الكرمل فى مدينة لودون رموزا فى غاية العجب، وتعود غالبا إلى النصف الثانى من القرن الخامس عشر، وتظهر بينها علامة الصليب المعقوف مع علامة ⋈ والتى سوف نعرض لها فيما بعد، وتحتلان مكانا مهما. ويعتقد الكرمل الذين جاءوا من الشرق أن أصلهم يرجع إلى إلياس وفيثاغورس، كما أن الماسونيين ربطوا بين سليمان وفيثاغورس، وهو أمر يشكل توازيا مدهشا، ويدعى بعض الأقوام أن التربية الروحية عندهم كانت أقرب إلى روحانية فرسان المعبد، وكذلك إلى روحانية رهبان الرحمة، ومن المعلوم أن هذه الطائفة الأخيرة قد أضفت اسمها على دير إسكلندى كتبنا عنه فى كتابنا *' Esoterism of Dante'*.

[21] وتنطبق الملحوظة ذاتها على العجلة التى نوهنا عن مغزاها الحقيقى سلفا.

[22] وسوف نقتبس من أجل التسجيل أن أحد التفاسير الخيالية لرمز الصليب المعقوف أنه كان أداة لإشعال النار، وإذا كان الرمز أحيانا له علاقة بالنار آجنى فى الهندوسية فذلك لأسباب تختلف تماما.

[23] ويعبر جذر الكلمة *dhri* جوهريا عن فكرة الثبات، واشتُق منه كلمة *dhru* بالمعنى نفسه، وهى تعنى 'قطب'، والتى يربط البعض بينها وبين الكلمة اليونانية لشجرة البلوط، وهى *drus* اللاتينية، كما أن كلمة *ruber* تعنى البلوط كما تعنى القوة والصرامة. وقد اشتق منها اسم الدرويديين *Druids* وكذلك اسم *Dodona* وهى شجرة البلوط التى تعنى 'شجرة العالم'، وترمز إلى محور ثابت بين قطبين.

[24] ولنتذكر هنا المتون التوراتية عن السلام والعدل وارتباطهما الوثيق، الرب يعطى رحمة ومجدا مزامير 84، 11

العام وكذلك للتخفيف عن الذين يخضعون لمخاوف سحرية بعينها، والتى يحتوى كتّاب أوسِّيندوفسكى على أصداء منها بين سطوره الختامية.

....
وغيرها.

3

شكيناه وميتاترون

أصيب ذوو العقول الوجلة التى اقتصرت أفهامهم على الأفكار المسبقة بالفزع من عنوان ’ملك العالم‘ ظنا منهم أنه ’أمير هذا العالم‘ الذى ذكرته الأناجيل. ولا حاجة للقول بأن هذا الفهم مغلوط تماما ويفتقد أى أساس يقوم عليه. ويمكن أن تهدأ مخاوفهم لو علموا ببساطة أن هذا اللقب يطلق على الله ذاته جل جلاله فى العبرية والعربية[25]، وهى فرصة تتيح لنا إبداء بعض الملاحظات التى تتعلق بمذهب ’الوسيطين السماويين‘ فى القبالة العبرية، وهو مذهب لصيق بموضوعنا الرئيس فى هذه الدراسة.

و’الوسيطين السماويين‘ هما شكيناه وميتاترون، وأولهما يعنى ’الحضور الحقيقى‘ للرب بالمعنى العام، والمتون التى تتناول هذا الحضور هى التى تتعلق بتأسيس مركز تربية روحية على شاكلة تابوت العهد وبناء المعبد كما كان شأن معبدى سليمان و زُرُبَابِل، ولابد أن يكون هذا المعبد المبنى بشروط صارمة موضعا للتجلى الربانى، ويُرمز إليه على الدوام ’بالنور‘، ولا زال تعبير ’مكان حسن النور والترتيب‘ شائعا بين الماسونيين، ويبدو كما لو كان من بقايا علم كهنوتى قديم يتعلق ببناء المعابد، ولم يكن قاصرا على اليهود فحسب، وسوف نعود إلى هذه النقطة لاحقا. ولا حاجة لنا هنا إلى التطرق إلى نظرية ’ باراكوث‘ العبرية التى احتفظت بمعنى كلمة ’بركة‘ العربية، وحتى لو اقتصرنا على طرح منظور واحد فلا زال تفسير مقولة إلياس ليفيتا *Elias Levita* ممكنا كما اقتبسها فوليو *Vulliaud* فى كتابه *La Kabbale juive* ’إن الماسونيين لا زالوا يحتفظون بأسرار عظمى عن هذه المسألة‘.

ويُطرح مذهب الشكيناه من عدة جوانب أهمها جانبان أوليان هما الباطن والظاهر، ويحفظها التراث المسيحى فى تعبير جليٍّ بآية المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام. وتشير كلمتا

---

[25] كما أن هناك فارقا شاسعا بين ’العالم‘ و’هذا العالم‘ حتى إن لغات بعينها تحتوى على اصطلاحين مختلفين تماما فى الإشارة إليه. فالعالم هو الكون و’هذا العالم‘ هو الدنيا فى العربية.

’المجد‘ و’السلام‘ إلى الجانب الباطن فى علاقته بالمبدإ والجانب الظاهر فى علاقته بالعالم المتجلى على الترتيب. وعندما نتأمل فى هذين الكلمتين سوف نرى لماذا جاءا على لسان الملائكة مالاكيم فى التبشير بمولد الرب ’بيننا‘ أو ’فينا‘ عمانويل. ويجوز أن نتذكر فى الحديث عن الجانب الأول مذاهب الوعاظ عن ’نور المجد‘ الذى تعمل فيه الرؤى الرضوانية، أما الجانب الثانى فنجد فيه ’السلام‘ الذى نوهنا عنه، ومعناه الجوانى أحد الأسس التى تقوم عليها صفاته الأصولية فى المراكز الروحية على الأرض، ولا مناص من أن تكون الكلمة العربية ’سكينة‘ تساوى العبرية ’شكيناه‘، والتى تعنى حرفيا ’السلام الأعظم *Pax Profunda*‘ عند أُخُوَّة الصليب الوردى *Rose-Cross*، ويمكن إذن أن نفسر على هذا الأساس الجانب الثانى بأنه ’معبد الروح القدس‘، كما يمكن أن نفسر كثيرا من آيات الأناجيل التى تحدثت عن ’السلام‘[26]، خاصة وأن ’التراث الأسرارى الذى يتعلق بالشكيناه لابد أن له علاقة بنور المسيح‘. أم هل كان الأمر مصادفة حينما قال فوليو ’إنها قاصرة على الذين يتبعون الطريق الذى يؤدى إلى الفردوس بَرْدِس‘؟ أى إلى المركز الروحى الأسمى كما سنرى فيما يلى[27].

ويؤدى ما تقدم إلى أمر آخر، فقد تحدث فوليو عن ’سر اليوبيل‘[28] الذى يرتبط بمعنى ما بفكرة ’السلام‘، وقد اقتبس فى هذا السياق من كتاب ظوهار ج 3، 52 ب، ’إن النهر الذى يفيض من جنة عدن يسمى إيوبيل‘، كما نجد فى سفر إرميا 17،8 فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه، وعلى نهر تمد أصولها، وهو ما يقطع بأن الفكرة المركزية لليوبيل هى عودة كل شىء إلى ’أصله القديم‘، وقد طرحنا هذه النقطة بتوسع فى كتابنا *The Esoterism of Dante*، ونضيف أن ’عودة كل شىء إلى أصله القديم سيكون بشيرا بقدوم عصر الماشيح‘، وقد يتذكر الذين قرءوا الكتاب ما قيل عن العلاقة بين ’الفردوس الأرضى‘ و’أورشليم السماوية‘. والحق أن ما يهم هنا هو المراحل المختلفة للتجلى الدورى وهو الفردوس بَرْدِس على الدوام، وهو مركز هذا العالم، والرمز التراثى الذى تُشَبِّهُه كل الشعوب بالقلب، وهو مركز الوجود و’الموئل الربانى‘ براهما بورا فى الهندوسية، ويسمى تابوت العهد الذى صُنع على صورته فى العبرية ميشكان أو ’سكن الرب‘، وهى كلمة مشتقة من نفس الجذر الذى اشتقت منه شكيناه.

وتعنى شكيناه من منظور آخر جُمَّاعًا لسفيروث، إذ تحتوى شجرة سفيروث على عمودين

---

26 وتفصح الأناجيل ذاتها عن أن السلام ليس هو ما يفهمه العالم الدنيوى. راجع يوحنا 14،27.

27 *La Kabbala juive, VI, p503.*

28 المرجع السابق *VI, p506-7*.

يمثل الأيمن منهما جانب الرحمة ويمثل الأيسر جانب العدل والصرامة[29]، ولابد من أن نجد الجانبين كليهما فى الشكيناه، ونرى على الفور أن الجبروت يعنى العدل وأن الرحمة تعنى السلام[30]. ’ولو أثم المرء وحاد عن الشكيناه يقع فى قهر القوىَ ساريم التى تستقى من الجبروت‘[31]، وتسمى الشكيناه عندئذ ’يد الجبروت‘، وتثير فى الذهن على الفور تعبير ’يد العدل‘ وعلى العكس من ذلك ’فإن المرء إذا تقرَّب من الشكيناه فسوف يتحرر‘، وتسمى الشكيناه عندئذ ’اليد اليمنى‘ للرب، وهو ما يربو إلى قول ’يد العدل‘ التى تصير ’يد البركة‘[32]. وهذه من أسرار ’بيت العدل بيث دين‘، وهو مؤسسة أخرى للمركز الروحى الأسمى[33]، ويتماهى الجانبان المذكوران مع التصور المسيحى لانفصال المختارين عن الملعونين يوم الساعة. كما يمكن تأسيس علاقة بين الطريقين الذين يرمز إليهما الفيثاغوريون بحرف *Y*، والتى تُفَسَّرَ برانيا بالفضيلة والرذيلة فى ملحمة هرقل، كما أن البابين يرمزان إلى الفردوس والجحيم، ويربطهما الرومان برمزية يانوس والمرحلتين الأخيرتين فى الدورة[34] أحدهما صاعدة، والأخرى هابطة، ويربطهما الهندوس برمزية جانيشا. ويسهل فهم تعبيرات مثل ’سلامة النية‘ و’حسن المقصد‘ مما تقدم[35] كما سنرى فيما يلى عندما نترك كافة التفاسير الظاهرية التى استحضرها كانط من المشّائين.

’وترفق القبالة بشكيناه قرينا يسمى بأسمائها ويتصف بصفاتها‘[36] وهو ميتاترون، وتساوى قيمته العددية الاسم الربانى شادَّاى[37] بمعنى ’شديد القوى‘ الذى يقال إنه اسم إله

---

[29] ويضاهى رمز ’شجرة الأحياء والأموات‘ فى العصر الوسيط هذه الرمزية، وترتبط بفكرة ’السلالة الروحية‘، كما يلاحظ أن شجرة سفيروث ترادف ’شجرة الحياة‘.

[30] ويرى التلمود أن الرب له كرسيان، كرسى العدل وكرسى الرحمة، ويناظران معا مفهوم ’العرش‘ و’الكرسى‘ فى التراث الإسلامى، والذى يقسم الأسماء الحسنى إلى أسماء كمال ’صفاتية‘ وأسماء ’جلالية‘ وأسماء ’جمالية‘ تناظر التمايزات فى المقام ذاته.

[31] *La Kabbale Juive, I, p507.*

[32] ويقول القديس أوغسطين وبعض آباء الكنيسة إن اليد اليمنى ترمز كذلك إلى الرحمة والخير، بينما ترمز اليد اليسرى للعدالة. و’يد العدل‘ أحد الصفات المعتادة للسلطة الملكية، فى حين تعنى ’يد الرحمة‘ السلطة الكهنوتية، كما أنها اتُخذَت أحيانا رمزا للمسيح عليه السلام. وقد وجِدت علامة ’يد الرحمة‘ على عملة غالية، وكذلك الصليب المَعقوف بأذرعٍ منحنية.

[33] وقد ارتسم هذا المركز وما يمثله من مؤسسات فى صورته، ويمكن أن توصف رمزيا بأنها ’معبد‘ يمثل الجانب الكهنوتى و’قصر أو محكمة‘ تمثل الجانب الملكى الذى يناظر العدل.

[34] ونجد أن نصفى دائرة البروج الفلكية التى نُقِشَتْ على أبواب معظم كنائس العصر الوسيط بشكل يضفى عليهما الرمزية ذاتها.

[35] وهى فى اللاهوت الرومانى *Pax hominibus* و*bonae voluntatis*، وسوف يرى القراء الذين ألفوا الرمزيات المذكورة الباعث على عزو رمز فصل الشتاء إلى المسيحية.

[36] *La Kabbala juive, I, pp497-8.*

[37] وعدد كل كلمة هو مجموع عدد حروفها العبرية وهو 314.

إبراهيم عليه السلام، ويبدو اشتقاق كلمة ميتاترون شديد الغموض، وأكثر الفرضيات شيوعا فى ذلك هو اشتقاقها من الكلمة الكلدانية ميترا بمعنى 'مطر'، كما أن جذرها يرتبط أحيانا بمعنى 'النور'. ولو كان الأمر كذلك فإن شبهها بكلمة 'ميترا' الزرادشتية والهندوسية لا يبرر القول بأن اليهودية قد استعارت من مذهب أجنبي، فليس التشابه على هذا المنوال الظاهرى قرينة على العلاقة بين أديان مختلفة، وقل مثل ذلك عما يتعلق بدور المطر كرمز وارد فى الأديان كافة بمعنى 'تنزيل البركة الروحية' من السماء إلى الأرض. زد على ذلك أن المذهب العبرى يذكر تعبير 'نور قطر الندى' الذى يشع من 'شجرة الحياة' ليبعث الموتى، كما يتحدث عن 'صَبِّ الندى' الذى يعبر عن البركة السماوية التى تهب ذاتها للعوالم أجمع، وهو ما يذكرنا برمزية مذهب الصليب الوردى.

'ويحمل ميتاترون عدة معانٍ للسادن والرسول والوسيط' وهو 'ملهم العبادة فى عالم الحواس،[38] وهو 'ملاك وجهً الرب'، وهو كذلك ' أمير هذا العالم سار ها عولام'، وتؤكد التسمية الأخيرة أننا لم نشرد عن موضوعنا، وبعد استخدام الرمزية التراثية فيما تقدم نقول إن رأس الطائفة هو 'القطب الأرضى' وميتاترون هو 'القطب السماوى' ، وينعكس الثانى فى الأول الذى يناظره على 'محور الدنيا'. 'واسمه ميكائيل، وهو الحَبْرُ الأعظم وأمير الرحمة... وكل آية تتحدث عن الحَبِر الأعظم تقصد كذلك مجد الحضور الربانى شكيناه'[39]. ويمكن أن يقال ما قيل عن الإسرائيليين هنا عن أى قوم يدينون بدين أولانى رشيد تستقى منه الأديان الأخرى وتخضع له، ويجرى كل ذلك بإلهام فكرة 'الأرض المقدسة'، وهى صورة العالم السماوى الذى أشرنا إليه سلفا. ويتصف ميتاترون بكل من صفات الرحمة والعدل، فهو الحبر الأعظم كوهين ها جادول والأمير الأعظم سار ها جادول 'قائد الكوكبة الربانية' فى الآن ذاته، وهو ما يربو إلى القول بأنه يحتكم على مبدإ القوى الملكية ومبدإ القوى الكهنوتية فى آن، وهى من آيات 'الوسيط'. زد على ذلك أن كلمتى 'ملك' و'ملاك أو رسول' هما الكلمة ذاتها، ثم إن كلمة 'ملاكى' أى 'رسولى' فى وحى الرب تعنى 'الملاك الذى يسكن فيه الرب ملاك ها إلوهيم'، وهى أحد الصفات التى تُطلق على ميكائيل عليه السلام[40].

---

[38] *La Kabbala juive, I, pp492,499.*

[39] المرجع السابق *I,pp500-1*

[40] ومن الطبيعى أن تذكرنا الملاحظة الأخيرة بآية 'مبارك الذى أتى باسم الرب'، والتى تُقال عن المسيح عليه السلام، ويؤولها راعى هيرماس *the Shephard of Hermas* إلى ميخائيل. بطريقة قد تبدو غريبة،

ولو صح القول بأن ميكائيل يتماهى مع ميتاترون كما أسلفنا إلا أنه يمثل جانبا واحدا منه، فالوجه المضيء يلازمه وجه مظلم يسمى صامائيل، ويحمل أيضا لقب سار ها عولام، وهو ما يعيدنا إلى منطلق هذه الأطروحة. والحق أن هذا الجانب الأخير وحده هو الذى يرمز بمعنى تخيسى إلى 'روح هذا العالم' التى ذكرتها الأناجيل وتبرر صلته بميتاترون الذى هو منه كظله استخدام المصطلح بمعنيين نقيضين، كما يتضح السبب الذى يربطه بالعدد 666 الذى يتعلق بالوحش فى علامات الساعة[41]. ويقول القديس هيبوليتوس 'إن المسيح عليه السلام وعدوه معا يُرمَزُ إليهما بالأسد'[42]، وهو رمز شمسى بدوره، وقل مثل ذلك عن رمز الأفعى[43] وكثير غيره من الرموز. وترى القبالة أنهما الوجهان النقيضان لميتاترون، ولا مناص لنا من الخوض فى نظريات مضطربة يمكن أن تظهر بناء على تلك الازدواجية الرمزية، ولكننا سوف نشير فحسب إلى أن الاضطراب هو 'الشيطانية' بعينها، ولا شك أنه ما يسوغ للبعض الإيمان بأنهم قد اكتشفوا المعنى الجهنمى فى لقب 'ملك هذا العالم' نتيجة الجهل كعذر وليس كمبرر[44].

....

ولكن ذلك لن يُدهش من كان على علم بالعلاقة بين المسيح عليه السلام والشكيناه. فالمسيح كذلك يدعى 'أمير السلام'، وهو فى الوقت ذاته 'قاضى الأحياء والموتى'.

41 ويتكون هذا العدد فى اسم سوراث شيطان الشمس، وهو بذلك نقيض لميخائيل، وسوف نتناول معنى آخر لهذا العدد فيما يلى.

42 *La Kabbala juive, II, p373*

43 ويمثلهما بشكل بليغ الحيتان اللتان تلتفان على صولجان هيرميس كاديسيوس فى الأيقونية المسيحية، وتتوحدان فى الحية ذات الرأسين أمفيسباينا، وتمثل أحد الرأسين المسيح وتمثل الأخرى الشيطان.

44 ونشير هنا إلى أن 'الكرة الأرضية' شعار القوى الاستعمارية للطغيان، رغم أنها توضع فى يد المسيح ذاته شعارا للسلطة الروحية والسلطة الزمنية معا.

4

ثلاث وظائف علوية

قال سانت إيف إن الرئيس الأسمى لآجارتها يحمل لقب براهاتما، وصحتها براهمآتما بمعنى 'شفيع النفوس فى روح الرب'، ويرمز لقب ماهانجا إلى 'مجمل البنية المادية للكون'[45]، وتتكون هذه البنية التركيبية فى المذاهب الغربية من ثالوث 'الروح والنفس والجسد'، والذى ينطبق على الكون الأكبر والكون الأصغر بموجب التشاكل القائم بينهما. ويجدر الانتباه إلى أن السنسكريتية تعدها مبادئ لا تنطبق على الكائنات الإنسانية إلا فيما تعلق منها بالمبادئ كما تفهمها، وترتبط حتى فى هذه الحالات بالمبادئ كوظائف لا كفرديات. وقد قال أوسِّيندوفسكى إن مهآتما يعلم المستقبل، وأن ماهانجا 'يدبر سيرورة الأحداث'، أما براهمآتما 'فيتحدث مع الرب وجها لوجه'[46]، ويسهل إذن فهم مغزى ذلك لو تذكرنا أنه يحتل المركز الذى يصل مباشرة بين العالم الأرضى وبين الأحوال الأسمى، ومن ثم بالمبادئ الأسمى[47]. ولو أن اصطلاح 'ملك العالم' اقتصر على العالم الأرضى لصار قاصرا، وسوف يكون أكثر صحة لو أننا اسمينا براهمآتما 'ملك العوالم الثلاثة'[48]، فكل من ترأس بنية سلطة حقيقية لابد وأن يملك فى الآن ذاته سلطة على كل ما دنا عنها من مقامات، وسوف نتناول فيما يلى 'العوالم الثلاثة'، والتى يتكون منها مفهوم تريبهوفانا فى التراث الهندوسى، وهى مجالات تناظر الوظائف الثلاث التى نحن بصددها.

وقال أوسِّيندوفسكى إن لاما قال له 'حينما يخرج ملك العالم من المعبد يشع بنور ربانى'[49]، وتقول التوراة العبرية الأمر ذاته عن موسى عليه السلام وهو يهبط جبل سيناء[50].

---

[45] وقد كتبها أوسِّيندوفسكى .*Brahytma, Mahytma, Mahynga*

[46] وقد رأينا فيما تقدم أن ميتاترون هو 'ملاك الوجه الربانى'.

[47] ويقول تراث الشرق الأقصى إن 'الوسط الساكن' هو الذى تتجلى منه 'أعمال السماء'.

[48] ونسأل الذين أصابتهم الدهشة حيال هذه التعابير ما إذا كانوا قد تأملوا معنى شعار الملكية الثلاثية *triregnum* وهو يتكون من تيجان ثلاثة ومفتاح، ويعد من شعارات البابوية الرئيسية.

[49] *Ferdinand Ossendowski, Beasts, Men and Gods, New York, 1921, p309.*

[50] ويقال كذلك إن موسى عليه السلام اضطر إلى إخفاء وجهه حتى يستطيع الحديث إلى شعبه، إذ عشيت

ويعتبر تراث الإسلام موسى عليه السلام قطب زمانه، ألم يكن ذلك سببا لأن تقول القبالة إنه تتلمذ على ميتاترون ذاته؟ ويحسنُ أن نميز هنا مرة أخرى بين المركز الروحى الرئيس والمراكز الفرعية التابعة له، والتى تمثله بما يوافق أديان أو شعوب بعينها. ووظيفة ’الرسول المشرِّع‘ التى أضفتها اللغة العربية على موسى عليه السلام تفترض تكليفا من مانو، وتعنى أحد المعانى التى تعزو إلى هذا الاسم صفة انعكاس النور الربانى.

وقد قال اللاما لأوسِّيندوفسكى ’إن ملك العالم على اتصال بأفكار كل من كان له سلطة على جنس الإنسان... ويعلم كل ما يدور بأفكارهم. وإذا كانت هذه الأفكار مما يرضى الرب فسوف يساعدهم، ولو كانت مما لا يرضى الرب سلط عليهم الدمار، وقد وُهِبت هذه القدرة للأجهارتيين بسر علم كلمة آوم التى نبدأ بها صلواتنا كافة‘[51].

ويتبع ذلك مباشرة عبارة سوف تدهش كل من كان له علم بمعنى هذا المقطع المقدس، ’إن آوم هو اسم قديس قديم، وهو أول جورو عاش منذ ثلاثمائة ألف عام مضت‘[52]، وسوف تبدو هذه العبارة أمرا يستعصى على الفهم ما لم نضع فى اعتبارنا أن الزمن المقصود خارج عن نطاق مانو الحالى، إذ إننا نعيش فى عصر فايفاسفاتا السابع، ثم إن آدى مانو أى مانو الأول فى بداية كالبا التى نعيشها قد انبعث من سفايامبهو، أى ’ذلك الذى يعيش بذاته‘، أو هو ’الكلمة السرمدية‘، ولكن لوجوس أو من يمثلها هو الجورو الأول أو ’المرشد الروحى‘ الأول، وهو ما يعنى أن آوم أحد أسماء الكلمة[53].

....

أبصارهم من وهجه، راجع الخروج 29، 24-35، وهو ما يعنى ضرورة التمثيل الرمزى البرانى للجماهير، ولنتأمل المعنى المزدوج لكلمة *reveal*، والتى تعنى ’كشف حجاب‘ كما تعنى ’إسدال ستر‘، فهكذا يعمل الوحى بالكشف والحجب عن المغزى فى الآن ذاته.

51 *Ferdinand Ossendowski, Beasts, Men and Gods, p309*

52 المرجع السابق.

53 ومما يبعث على الدهشة أن هذا المقطع موجود فى الرمزية المسيحية القديمة، فمن بين العلامات التى ترمز إلى المسيح عليه السلام علامة هى اختصار لدعاء طوبى لمريم *Ave Maria*، ولكنها كانت أصلا مكافئا للعلامة التى توحد الحرف ألفا الأول مع الحرف أوميجا الأخير من الأحرف اليونانية كى تعنى بداية ونهاية كل شيء، والحق أنها أكمل من ذلك، فهى تعنى البداية والوسط والنهاية، وعلامة ⋈ تتركب من *AVM*، أى الحروف اللاتينية الثلاثة التى تناظر تماما عناصر المقطع المقدس *OM* آوم، فحرف *O* فى السنسكريتية يجمع بين صوتى *A* و*U*. ويبدو ارتباط علامة آوم والصليب المعقوف ذو مغزى حين ينظر إليه من هذه الزاوية، فكلاهما رمز للمسيح عليه السلام، كما يجب أن ننظر أن شكل هذه العلامة يتكون من ثالوثين ينقلب أحدهما على الآخر، مما يجعله مناظرا لخاتم سليمان ✡ يتوسطه خط أفقى يشير إلى المعنى العام لسطح الانعكاس أو ’سطح الماء‘، ومن الثابت أن الشكلين يتكونان من عدد مماثل من الخطوط، ولا يختلفان إلا فى وضع اثنين منهما فحسب تغيرا من الأفقى فى أحدهما إلى الرأسى فى

ثم إن مقطع آوم يقدم مفتاحا للتركيب الهيكلى بين براهماآتما وتابعيه كما أشرنا سلفا. ويقول التراث الهندوسى إن العناصر الثلاثة التى تكوِّنُ المقطع المقدس ترمز بالتناظر إلى ’العوالم الثلاثة تريبهوفانا‘، وهى الأرض بهو والجو بهوفاس والسماء سوار، وهى تناظر فى منظومة اصطلاحية أخرى عالم الجسد المتجلى وعالم التجليات اللطيفة والنفسانية وعالم المبدإ اللامتجلى[54]. وهذه العوالم على الترتيب التصاعدى هى ماهانجا وماهاآتما و براهماآتما. وما يتبين من تفسير ألقابهم فيما سلف وتبرر علاقة التبعية بينها تفسيرنا السابق لبراهماآتما ’ملكا للعوالم الثلاثة‘[55]، ’وهذا الواحد هو ملك الجميع، وهو كلى العلم‘ ويرى الأسباب فى نتائجها، ’وهو الحاكم الباطن فى مركز العالم على كل شىء‘، ويسكن فى مركز العالم يدير حركته دون أن يشارك فيها، ’وهذا الواحد هو مصدر وأصل كل سلطان مشروع‘ فى التجليات الدورية الذى هو قانونها[56]. ونستخدم رمزية أخرى لا تقل انضباطا عما تقدم بقول إن ماهانجا و ماهاآتما تمثلان قاعدة مثلث على قمته براهماآتما، ويجسد ماهاآتما مبدأ التوسط بشكل خاص، وهو ’الحيوية الكونية *Anima Mundi*‘ عند الهرامسة، وتنتشر أعماله فى ’المملكة الوسطى‘. وقد تمثل كل هذا بوضوح فى الأبجدية المقدسة التى أسماها سانت إيف *vattan* فى حين أسماها أوسِّيندوفسكى *vattanan*، وهو ما يربو إلى الشىء ذاته فى الأشكال الهندسية للخط واللولب والنقطة، والتى تناظر الحروف ماترات المقطع المقدس الثلاثة آوم.

ولنعكف على توضيح أكثر لهذه المسألة، فالقوى الملكية والكهنوتية بكاملها تنتمى إلى براهماآتما من منظور المبدإ كنوع من الأحوال اللامتمايزة، وتمايز القوتان فى مقام أدنى حتى تتجلى، وعندئذ يمثل ماهاآتما القوى الكهنوتية ويمثل ماهانجا القوى الملكية. ويناظر التمايز بينهما ما يقوم بين البراهمة و الكاشاطريا رغم أن ماهاآتما و ماهانجا فوق الطبقات، ويتصفان بذاتهما بصفة كهنوتية وملكية معا. ويثير ذلك نقطة هامة تبدو وكأنها لم تُفسَّر قبل الآن بشكل مُرْضٍ، فقد أسلفنا القول عن أن القوتين تتوحدان فى ’ملوك المشرق‘ الثلاثة الذين

....

الآخر.

[54] ونُرجعُ القارئ إلى كتابينا *The Esoterism of Datnte* و’الإنسان ومصيره فى الفيدانتا‘ لمعالجة أكثر تفصيلا لمفهوم ’العوالم الثلاثة‘، وهى بالمعنى المنضبط أحوال وجود الفرد فى مقامات مختلفة من التربية الروحية، وقد طرحنا فى الكتاب الثانى تفسيرا كاملا من المنظور الميتافيزيقى لماندوكيا أوبانيشاد، والتى تمتاز بطرح كامل للرمزيات المقصودة فى سياقنا هذا، وتغطى الأطروحة الحالية تطبيقا واحدا لها.

[55] وتشير وظيفة براهماآتما فى مقام المبادئ الكلية إلى إيشفارا، وتشير ماهاآتما إلى هيرانياجاربها، وتشير ماهانجا إلى فيراج. ويمكن استنتاج صفاتهم بسهولة.

[56] ماندوكيا أوبانيشاد، شروتى 6، فى ترجمة سوامى جامبهيراناندا، كلكتا، 1973.

تحدثت عنهم الأناجيل، ويمكن الآن القول بأن هؤلاء الملوك الغامضين ليسوا إلا الرؤساء الثلاثة لأجارتها[57]. فيقدم ماهانجا هدية من الذهب إلى المسيح عليه السلام ويعلن أنه 'الملك'، ويقدم ماهاآتما إليه هدية من البخور ويعلن أنه 'الكاهن'، ويقدم إليه براهماآتما هدية من المُرِّ ويعلن أنه 'النبي' أو المعلم الروحى بلا منازع. والمرُّ من شجرة لا يصيبها فساد وترمز إلى آمريتا، أى أكسير الخلود[58]. والشرف الذى أسبغه الممثلون الشرعيون لتراث أولانى على المسيح الوليد عليه السلام هو فى الآن ذاته توكيد للرشد الكامل للمسيحية.

ولم يكن أوسّيندوفسكى فى موقف يمكّنُهُ من الاعتبار فى أمور من هذا المقام، ولو أنه تجشم عناء تمحيص أمور بعينها لأدرك التشاكل بين ثالوث آجارتها الأسمى وبين اللامية كما وصفها بنفسه، وأن دالاى لاما 'قد تحقق بالقداسة أو الروحانية الصرف' للبوذا، وأنه تاشى لاما 'الذى تحقق بالعلم اللدنى' وليس بالسحر كما كان يعتقد، بل هو تدخل ربانى *theurgy*، ويمثل بوجدو و خان 'قوته المادية والعسكرية'، وهو على التمام مثل تقسيم 'العوالم الثلاثة'، ولكان بإمكانه أن يستنتج هذه التوازيات حيث إنه أحيط علما بأن 'عاصمة آجارتها... تذكر المرء بجبل لهاسا الذى تكسوه الأديرة والمعابد، وعلى قمته قصر بوتالا موئل دالاى لاما'[59]. وطريقته مغلوطة فى التعبير عن هذه الأمور، فالحق أن الصورة هى التى تستحضر المثال وليس العكس، ومركز اللامية يمكن أن يكون صورة 'لمركز العالم' الحقيقى، ولكن حين نتمَّعن فى المواقع الجمَّة لهذه المراكز نرى أنها جميعا تحقق ملامح طبوغرافية متجانسة، وليس ذلك أمر قليل الأهمية، بل إن له مغزًى رمزيًّا لا يبارى، ولابد وأن تخضع للقوانين التى يعمل بها النفوذ الروحى، وهو موضوع يندرج فى علم تراثى يمكن أن نسميه 'علم الهيئة المقدس'.

وهناك توازٍ آخر لا يقل وضوحا عن سابقه، فيصف سانت إيف الدرجات المتباينة لدوائر التربية الروحية، وتتعلق بأعداد رمزية بعينها، وتشير على الخصوص إلى تقسيمات زمنية، وينتهى وصفه 'بأن أعلى الدوائر شأنا وأقربها إلى المركز الغامض تتكون من اثنى عشر

---

[57] وقد ذكر سانت إيف أن ملوك المشرق قد جاءوا من آجارتهادون أن يحاول التدقيق فى المسألة، ولا شك أن الأسماء التى عزيت إليهم خيالية اللهم سوى اصطلاح ميلكى، وهو فى العبرية 'ملك النور'، وهو أمر ذو مغزى.

[58] وأمريتا فى الهندوسية هى أمبروزيا عند اليونانيين بناء على وحدة مصدر اشتقاقهما، وهى مشروب أو طعام للخلود، كما يمثل أيضا فى الفيدا باصطلاح سوما وفى المزدكية باصطلاح هواما.

والمر صمغ يخرج من ساق شجرة، ويقوم بدور مهم فى الرمزية، حيث إنه يتخذ شعارا للمسيح عليه السلام.

[59] *Ferdinand Ossendowski, Beasts, Men and Gods, p303*

قسما تمثل فروع التربية الروحية الأسمى، وتناظر دائرة البروج السماوية ناهيك عن أمور أخرى'. وتناظر هذه الأقسام ما يعرف 'بالمجلس الدائرى' لدالاى لاما، والذى يتكون من اثنى عشر عظيما نامشان أو نوميخان، وهذا التقليد متوارث أيضا فى التراث الغربى على شاكلة 'فرسان المائدة المستديرة'، ونضيف إلى ذلك أن الاثنى عشر عضوا الذين يمثلون دائرة الوسط فى آجارتها لا يمثلون علامات الأبراج الفلكية الاثنى عشر فحسب بل كذلك أو بالحرى الآديتيات وهى مواقع الشمس بالنسبة إلى علامات الأبراج الأخرى، ولا يجبُّ أحد الأمرين الآخر[60] حيث إن مانو فايفاسفاتا يُكنى عنه باسم 'ابن الشمس' و'ملك العالم' الذى يُعَدُّ شعار الشمس أحد رموزه[61].

والاستنباط الرئيس مما تقدم هو أن المراكز الروحية فى العالم أجمع تكاد أن تكون خفية أو يصعب ارتيادها تشبه بعضها بعضا، والتفسير الوحيد المعقول لذلك التشابه لو كانت الروايات تتعلق بمراكز مختلفة بما يبدو حقيقة فى بعض الأحيان فلابد أنها انبعاث من مصدر أسمى، كما أن الأديان كافة لا تعدو مواءمات مكانية وزمانية للتراث الأولانى العظيم.

[60] ويقال إن الأديتيات التى تنبعث من آديتى أو 'اللامنظور' كانت سبعا فى أول الأمر قبل أن تصبح اثنى عشر على رأسهم فارونا، وهن دهاترى وميترا واريامان ورودرا وفارونا وسوريا وبهاجا وفيفاسفات وبوشان وسافيترى وتفاشرى وفيدشنو. وهن تجليات شتى للجوهر الواحد الفريد، ويقال كذلك إن اثنى عشر شمسا سوف تشرق سويا فى نهاية الدورة الزمنية، ومن ثم ترجعن إلى الوحدة الجوهرية الأولانية لطبيعتهن المشتركة. وكذلك يناظر أرباب الأوليمب الاثنى عشر علامات البروج.

[61] والرمز الذى نقصده هو الذى تستخدمه الكهانة الكاثوليكية بإضفاء كُنيَة 'شمس الروح *Sol Justitae*' على المسيح عليه السلام، أى إنه 'مركز العالم' الحقيقى، زد على ذلك أن تلك الكُنْيَة ذاتها تُطلق على ملكى صادق. كما يجب ملاحظة أن الأسد كان شعارا للعدالة والقوة فى العصور القديمة والوسطى، وهو رمز شمسى ضمن منازل البروج، ويجوز أن يعنى رسم الشمس باثنى عشر شعاعا الأديتيات الاثنى عشر. ومن منظور آخر إذا كانت الشمس تمثل المسيح عليه السلام فإن الاثنى عشر شعاعا هم الحواريون، وتعنى كلمة *apostolos* 'مرسال' أو 'مبعوث' كما ترسل الشمس أشعتها. زد على ذلك أن المرء يمكن أن يرى فى عدد اثنى عشر حواريا علامة على الاتساق الكامل بين المسيحية والأديان القديمة.

رمزية الكأس المقدس

جاء ذكر فرسان المائدة المستديرة فى الباب السابق، ولن ينبو عن أطروحتنا أن نلفت النظر إلى معنى 'البحث عن الكأس المقدس *Grail Quest*' التى نشأت من أسطورة ذات أصل كلتى لتصير غاية مبدئية عندهم. فكل الأديان تسعى إلى أمرٍ فُقِدَ أو اختفى على شاكلة سوما الهندوسية و'رحيق الخلود هاوما' الفارسى، ولهما علاقة مباشرة بمسألة البحث عن الكأس المقدس، والذى قيل إنه تقدس لأنه حمل دماء المسيح عليه السلام، أى رحيق الخلود مرة أخرى. وتختلف الرمزية من مكان لآخر، فعند اليهود أن نطق اسم الرب بكامله قد ضاع[62]، إلا أن الفكرة الأصولية واحدة على الدوام، وسوف نرى ما الذى تناظره.

ويقال إن الكأس المقدس كان على مائدة العشاء الأخير، وقد جمع فيه يوسف الأرميتى الدم والماء اللذين فاضا من طعنة رمح الجندى لونجينوس فى جنب المسيح عليه السلام[63]، وتقول الأسطورة أن يوسف الأرميتى ونيقوديموس قد ذهبا بها إلى إنجلترا[64] مما يشير إلى الصلة بين التراثين الكلتى والمسيحى. والحق أن رمز الكأس يقوم بدور مهم فى كثير من الأديان القديمة وخاصة عند الكلتيين، كما أن ارتباط الكأس بالرمح يشير إلى نوع من التكامل بينهما، ولكن طرح مراتب هذا التكامل سينأى بنا عن موضوعنا الحالى[65].

وربما كان المعنى الجوهرى للكأس المقدس من أوضح ما يكون فيما قيل عن أصله،

[62] ونتذكر هنا 'الكلمة المفقودة' عند الماسونيين، وهى ترمز إلى أسرار التربية الروحية الحقة، والبحث عن الكلمة المفقودة بمثابة 'بحث عن كأس مقدس'، وهو ما يبرر العلاقة التى يشير إليها المؤرخ هنرى مارتين بين جماعة الجريل *Massenie du Saint Graal* والماسونية، راجع كتابنا 'جوانية دانتى' الباب الرابع، وسوف يسهّل التفسير الذى أوردناه هنا فهم جدليتنا السابقة عن الصلة بين الكأس المقدسة ذاتها وبين 'المركز المشترك' لكل طرق التربية الروحية.

[63] واسم لونجينوس مشتق من الرمح، وعادة ما يرتبط 'بمحور الدنيا'، وهو فى اليونانية *logke* وتنطق *lonke*، وفى اللاتينية *lancea*.

[64] ويمثل هذين الرجلين السلطتين الملكية والكهنوتية، كما ينطبق الأمر ذاته على آرثر وميرلين فى مؤسسة 'المائدة المستديرة'.

[65] وسوف نقول فقط إن رمزية الرمح ترتبط غالبا 'بمحور العالم' حتى إن الدماء التى تسيل عليها تشبه قطر الندى من 'شجرة الحياة'، ثم إننا نعلم أن الأديان جميعا تتفق على المبدإ الحيوى الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالدم.

ومن المفترض أن الملائكة قد صنعته من زمردة أفلتت من إبليس أثناء سقوطه[66]. وتشاكل هذه الزمردة ما يسميه الهندوس 'عين شيفا الثالثة أورنا' أو هى 'لؤلؤة الجبهة'، وقد استعارتها البوذية فيما بعد بمعنى 'حاسة الخلود' كما أوضحنا فى عمل آخر[67]. ويقال أيضا إن آدم عليه السلام قد أُؤتُمِنَ على الكأس المقدس فى الفردوس الأرضى ولكنه فقده بعد السقوط، فلم يُسَمَحُ له بأخذه حينما طُرِد من جنة عدن، ولذلك معنى واضح بموجب ما طرحنا توا. فقد وجد الإنسان نفسه منفصلاً عن أصل مركزه وصار حبيس عالم مؤقت فى الزمن، ولا يملك أن يعود منه إلى ذلك المكان الفريد الذى يعيش فيه كل شىء فى الأبدية. وبتعبير آخر فإن 'حاسة الخلود' تتعلق بما تسميه الأديان كافة 'الحال الأولانى' الذى تتوقف عودته على التربية الروحية الحقيقية، كما أنها الشرط الأساسى لانتصار 'الأحوال فوق الإنسانية'[68]، ويمثل 'الفردوس الأرضى' 'مركز العالم' بالمعنى الصحيح حين ندقق فى معنى كلمة 'فردوس'.

وقد يبدو ما يلى ملغزا، فقد نجح سيت *Seth* فى دخول الفردوس الأرضى مرة أخرى كى يستعيد الكأس المقدس، ويعبر اسم 'سيت' عن فكرة الأساس أو الثبات، وبذلك يشير بشكل ما إلى استرجاع الحال الأولانى الذى ضاع بسقوط الإنسان[69]. ولابد إذن من فهم أن سيت والذين حملوا الكأس المقدس من بعده كانوا قادرين على إقامة مركز روحى قُدِّرَ له أن يحل محل الفردوس المفقود أو أن يكون صورة له، ويمثل امتلاكهم للكأس المقدس حفاظا متكاملا على التراث الأولانى فى المركز الروحى. ولم تحكِ الأسطورة عمن آل إليه الكأس المقدس حتى زمن المسيح عليه السلام، رغم أن الأصل الكلتى يفترض أن الدرويديين كان لهم دور فى ذلك، وعليه يجب أن يُعَدُّوا من سدنة التراث الأولانى.

وقد كان فقدان الكأس المقدس أو أيٍ من نظائره الرمزية يربو إلى فقدان التراث ذاته بما حوى، ولكن الصحيح هو أن التراث قد كَمُنَ ولم يُفقَد، أو قد يكون مفقودا فى مراكز روحية ثانوية فحسب بعد أن كفَّت عن التواصل المباشر مع المركز الأسمى، والذى حافظ على

[66] ويقول البعض إن الزمردة قد سقطت من تاج إبليس، ولكن يظهر هنا اضطراب نظرا لحقيقة أن إبليس كان 'ملاك التاج' قبل أن يسقط، وهو كيثير فى العبرية وسيفيراه الأول، واسمه هاكاثريل، وهو اسم قيمته العددية 666.

[67] الإنسان ومصيره فى الفيدانتا، الباب 20، تراث واحد، تحت الطبع.

[68] راجع كتابينا *Esoterism of Dante, ch6 & 8* و'الإنسان ومصيره فى الفيدانتا' باب 23.

[69] ويقال إن سيت ظل أربعين عاما فى الفردوس الأرضى، ويعنى العدد هنا 'تصالحا' أو 'عودة إلى المبدإ'. ونصادف عدد أربعين كثيرا فى التراث اليهودى المسيحى، مثل عدد أيام الطوفان وعدد سنوات متاهة بنى إسرائيل فى الصحراء وعدد الأيام التى قضاها موسى عليه السلام على جبل سيناء، وعدد أيام صيام المسيح عليه السلام، كما توجد أمثلة أخرى.

بقايا التراث وظل بعيدا لا يتأثر بالتحولات التى تنتاب العالم الخارجى، فلم يصل الطوفان إلى الفردوس الأرضى، وهو 'موئل أخنوخ وأرض القديسين'[70]، والذى تلامس قمته 'كرة القمر' التى تنأى عن عالم التحولات أو عالم 'ما تحت القمر' فى نقطة لقاء السماء والأرض[71]. ولكن الفردوس الأرضى أصبح ولا سبيل إليه، وهكذا كان على المركز الأسمى أن يحتجب عن التجلى الظاهر أثناء سيرورة أزمنة بعينها، ويجوز القول إذن أن التراث قد ضاع من السواد الأعظم للإنسانية، فهو محفوظ فقط فى مراكز مغلقة بعينها، حتى إن الغالبية لا تملك أن تشارك فيه بفاعلية أو عن وعى[72]. وهو حال الأمور فى العصر الحاضر، والذى تمتد بدايته إلى ما قبل وعى التاريخ الدنيوى المعتاد. وهكذا أصبح فقدان التراث مفهوما بمعنى عام حسب الحال، أو نعزوه إلى الغموض الذى يلفُّ المراكز الروحية التى تتحكم فى مصائر ناس وحضارات، ولذا كان تمحيص كل رمز يتعلق بها ضروريا حتى نحدد أى المعنيين أولى بالتفسير.

وبناء على ما تقدم فإن رمز الكأس المقدس ينطوى فى الآن ذاته على أمرين مرتبطين، فَمَنْ كان يفهم 'التراث الأولانى' بكليته ووصل إلى مقام المعرفة الفعالة التى يعنيها هذا الفهم جوهريا فسوف يتكامل بشكل فعال مع 'الحال الأولانى'. ونرفق مع اصطلاحى 'التراث الأولانى' و'الحال الأولانى' المعنى المزدوج الذى يتصف به الكأس المقدس ذاته، فأحد التمثلات اللفظية يلعب دورا ملحوظا فى الرمزية، زد على ذلك أن هناك أسبابا أعمق مما قد يُفهَمَ للوهلة الأولى، فالكأس المقدس إناء ***grasale*** وكتاب ***gradale*** أو ***graduale***، وتعنى الكلمة الأخيرة التراث بوضوح[73]، وتتعلق الأولى بالحال بشكل مباشر.

ولا ننوى الدخول فى تفاصيل ثانوية تتعلق بأسطورة الكأس المقدس رغم أنها جميعا تحمل قيما رمزية، ولا أن نتتبع تاريخ فرسان المائدة المستديرة ومغامراتهم، ولكننا نشير إلى أن

[70] ويقول سفر التكوين وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه 5، 24. وهو لم يوجد فى صورته الأرضية فحسب، ويعنى هذا أنه انتقل إلى الفردوس الأرضى، ويعتقد لاهوتيون مثل توستار وكاجيتان أنه قد انتقل إلى 'موئل القديسين' أو 'أرض الأحياء'.

[71] ويتفق ذلك مع الرمزية التى استخدمها دانتى الذى وضع الفردوس الأرضى على قمة جبل المطهر، وهو عنده بمثابة 'الجبل القطبى' الذى يظهر فى كل الأديان.

[72] ويقول التراث الهندوسى أن أصل الطبقات كان طبقة واحدة تسمى هامسا، وتعنى أن كل الناس فى ذلك الحين كانوا على المرتبة الروحية التى يعنيها اسم ذلك النوع، وهى مرتبة تعلو على التمايزات التى تعبر عنها الطبقات الأربع فى زمننا.

[73] ويختلط المعنيان فى نسخ بعينها من أدبيات طائفة الكأس المقدس، ويصبح الكتاب كما لو كان مكتوبا على الكأس بيد المسيح عليه السلام أو الملائكة، ويتبدى ذلك بربط الكأس 'بكتاب الحياة' وعدة عناصر من علامات القيامة.

’المائدة المستديرة‘ التى أقامها الملك آرثر[74] بإرشاد ميرلين، أقيمت لكى تستقبل الكأس المقدس بعد أن حازها أحد الفرسان وعاد بها من إنجلترا إلى بريتانى. والمائدة ذاتها أحد الرموز القديمة التى ارتبطت دائما بفكرة سدنة التراث، كما أن الشكل الدائرى لها يرتبط بدائرة البروج الفلكية التى يحيط بها إثنتا عشرة شخصية رئيسية[75]، وهى أمر تفصيلى يتكرر فى تكوين بنية كافة المراكز الروحية.

وهناك رمز آخر يتعلق بأحد جوانب أسطورة الكأس المقدس يستحق الانتباه، ألا وهو جبل *Montsalvat* أى ’جبل الخلاص‘ حرفيا، والذى يُصَوَّرُ مرتفعا من وسط البحر فى موقع لا وصول إليه، وتشرق الشمس من ورائه، وتقع قمته ’على مشارف لا يبلغها الفانون‘. وهو فى الآن ذاته ’الجزيرة المقدسة‘ و’الجبل القطب‘، وهما رمزين متناظرين سوف نتناولهما فيما بعد، كما أنه ’أرض الخلود‘ التى تتماهى مع الفردوس الأرضى[76].

ولنعد إلى الكأس المقدس ذاته، والذى نرى أن مغزاه هو ذاته مغزى ’الوعاء المقدس‘ أينما وجد، وهو فى الشرق رحيق سوما فى الفيدا ورحيق هاوما فى المزدكية، وهو ’أكسير الخلود‘ الذى يضفى على من يذوقه ’حاسة الخلود‘. ولابد من دراسة أخرى حتى نغطى مسألة رمزية الكأس المقدس وفحواها. ولكن ما تناولناه حتى الآن يؤدى بنا إلى اعتبارات ذات أهمية عظمى للأطروحة الحالية.

---

74 واسم آرثر له معنى باهر يتعلق برمز ’القطب‘، وربما أتيح لنا فى موضع آخر أن نتناوله.

75 وقد بلغ تعداد ’فرسان المائدة المستديرة‘ أحيانا خمسين فارسا، وهو عدد يعنى اليوبيل عند اليهود، كما كان يرتبط بعصر ’سيادة الروح القدس‘، ولكن ذلك لم يمنع أن يكون بينهم اثنتا عشر شخصية رئيسية، ونتذكر أيضا الاثنى عشر نبيلا فى بلاط شارلمان عن حكايات أسطورية من العصور الوسطى.

76 وقد لفت أحد الهندوس نظرنا إلى التشاكل بين جبل مونتسالفات وجبل ميرو، وهذا ما حدا بنا إلى تمحيص مغزى أسطورة الكأس المقدس.

6

مَلْكِى صَادَق

يروى التراث الشرقى أن رحيق سوما لم يعد معروفا، ولزم استبداله بمشروب آخر للقيام بشعائر التضحية، ولم يكن إلا رمزا للرحيق الأصلى[77]، وكان ذلك هو الدور الذى أسند للنبيذ الذى يشكل شطرا معتبرا من أسطورة ديونيسوس[78]. وقد اتُخِذَ النبيذ غالبا لتمثيل مذاق التربية الروحية الأصلية. وتشترك الكلمتين العبريتين ياين بمعنى 'نبيذ' وصود بمعنى 'سر' فى القيمة العددية ذاتها[79]، ولذا ترادف معناهما. ويرمز الخمر عند الصوفيين إلى المعرفة الجوانية، وهو مذهب يضم الصفوة الروحية فحسب ولا يناسب كل الناس، مثلما يقبل قلائل من الناس على شرب النبيذ بلا ملام. ويتبع ذلك أن استخدام النبيذ فى شعيرة يضفى عليها صبغة التربية الروحية، وهذا هو حال شعيرة 'قربان مَلْكِى صَادَق *eucharist*' موضوع هذا الباب[80].

وليس اسم مَلْكِى صَادَق إلا لقب فى تراث اليهودية والمسيحية بمعنى 'ملك العالم'، وقد ترددنا زمنا فى ذكر هذه الحقيقة إلا أن معالجتنا لمسألة 'ملك العالم' لم تسمح لنا بتجاوزها فى صمت. وهنا نتذكر كلمات القديس بولس عنه 'الذى من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ صرتم متباطئ المسامع'. رسالة إلى العبرانيين، 5،11

[77] وفى التراث الفارسى نوعان من رحيق هاوما، أحدهما أبيض لا يوجد إلا على 'الجبل المقدس' الذين يطلقون عليه اسم البورج، والآخر أصفر حل محل الرحيق الأصلى عندما هجر أجدادهم الإيرانيون موطنهم الأول، إلا أنه موطنهم الجديد فقد هو الآخر. وهنا نرى مراحل متتابعة للغموض الروحى التدريجى فى العصور المختلفة لدورة الحياة الإنسانية.

[78] وديونيسوس أو باخوس له عِدة أسماء تناظر جوانب مختلفة منه، ويقول التراث الهللينى إنه أتى من الهند، والرواية التى تقول إنه وُلِد من فخذ زيوس تعتمد على جناس لغوى، فكلمة 'فخذ *meros*' اليونانية قد حلت محل اسم جبل ميرو التى تكافئها صوتيا.

[79] والقيمة العددية لكل منهما سبعين.

[80] ويمثل قربان ملكى صادق 'سبق تصور' للقربان المسيحيون، ويعتقد الكهنة المسيحيون أنهم متماهون مع كِهنوت ملكى صادق ذاته منطبقا على المسيح فى هذه الآية، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة مَلْكِى صادق. مزامير 110،4.

والمتن التوراتى الذى حضَّنا على طرح هذه الملاحظات هو الآيات ومَلْكِى صَادَق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلى، وباركه وقال مبارك أبرام[81] من الله العلى مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك. فأعطاه عشرا من كل شىء[82].

فكان مَلْكِى صَادَق إذن كاهنا وملكا، ويعنى اسمه حرفيا ’ملك العدل‘، وكان ملك شاليم وتعنى ’السلام‘، ونجد هنا مرة أخرى ’العدل والسلام‘ كصفات أصولية ’لملك العالم‘. ولابد أن نراعى رأى العوام أيضا أن كلمة شاليم لا تعنى مدينة مطلقا، ولكنها تشير إلى الاسم الرمزى لمقر مَلْكِى صَادَق، ويجوز أن نرادفها مع آجارتها. ومن قبيل الخطإ أن نعتبرها الاسم الأصلى لأورشليم التى كانت تسمى جيبوش *Jebus* فى ذلك الحين، بل لو أن اسم أورشليم أُسبِغَ على هذه المدينة مع قيام مركز روحى لليهود بها، فذلك يشير إلى أنها كانت صورة مرئية لشاليم الحقيقية، كما يجب مراعاة أن ’معبد سليمان‘ قد قام هناك، وكان اسمه شلوموه مشتقا من شاليم، ويعنى ’المسالم‘[83].

ولننظر فيما يقول القديس بولس عن مَلْكِى صَادَق، لأن مَلْكِى صَادَق هذا ملك شاليم كاهن الله العلى الذى استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه، الذى قسم له إبراهيم عشرا من كل شىء. المُتَرْجَمَ أولا ملك البر ثم أيضا ملك شاليم أى ملك السلام. بلا أبٍ بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبَّه بابن الله هذا يبقى كاهنا إلى الأبد[84].

وقد قدمت التوراة مَلْكِى صَادَق على أنه أعلى مقاما من إبراهيم، فهو يباركه وبدون كل مشاجرة الأصغر يُبَارَكُ من الأكبر[85]، وقد أقر إبراهيم بهذا السمو بإعطائه العشور، وهو تعبير عن تبعيته له. وأمامنا الآن ’خُلْعَةٌ‘ حقيقية بمعنى يكاد أن يكون إقطاعيا، ولكن بفارق أن هذه الخُلعَة روحية نجد فى مغزاها نقطة الوصل بين تراث اليهودية والتراث الأولانى القديم.

---

[81] فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم... وقال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة. التكوين 17،5 و15. وتظل القيمة العددية للاسم القديم والجديد واحدة فى الحالين.

[82] التكوين 14، 18-20.

[83] ونلاحظ أيضا أن كلمتى ’إسلام ومسلم‘ مشتقتان من المصدر ذاته بمعنى ’التسليم للمشيئة الربانية‘ كشرط لازم ’للسلام‘، وتضاهى الفكرة ذاتها اشتقاق كلمة **دهارما** الهندوسية.

[84] الرسالة إلى العبرانيين 1،7-3.

[85] المرجع نفسه 7،7.

ويعنى ’التبريك‘ المشار إليه نقل ’النفوذ الروحى‘ الذى كان على إبراهيم أن يشارك فيه من لحظة حدوثه وما تلاها، ونلاحظ أن صيغة التوراة قد وضعت إبراهيم عليه السلام فى اتصال مباشر مع ’الله العلى‘، ويدعوه إبراهيم فيما بعد باسم يهوى *Jehova* [86]. ولو كان مَلْكِى صَادَق أعلى مقاما من إبراهيم فذلك لأن إله مَلْكِى صَادَق كان ’الأعلى إليون‘ فى حين كان إله إبراهيم ’شديد القوى شادّاى‘، وهو ما يربو إلى القول بأن الأول يمثل وجها ربانيا أعلى مقاما من الوجه الثانى. كما أن المسألة المهمة التى لم تُلحَظ قبل الآن هى أن إليون تساوى عمانوئيل، والقيمة العددية لهذين الاسمين واحدة[87]، ويربط ذلك بين قصة مَلْكِى صَادَق وبين ملوك المشرق *the Magi-Kings*، وقد تناولنا مغزاه سلفا. ويتضح ذلك حينما نتذكر أن كهنوت مَلْكِى صَادَق مكرَّسٌ لله الأعلى إليون، فى حين أن كهنوت المسيحية مكرَّسٌ لعمانوئيل، وهذين الكهنوتين على الحقيقة كهنوت واحد، وقل مثل ذلك عن الكهنوت المسيحى الذى يتضمن جوهريا طقس تناول الخبز والخمر، وهو على طريق مَلْكِى صَادَق على الحقيقة[88].

ويميز التراث اليهودى المسيحى بين كهنوتين، أحدهما كهنوت هارون والآخر كهنوت مَلْكِى صَادَق، والأول أدنى مقاما من الثانى مثلما كان إبراهيم أدنى مقاما من مَلْكِى صَادَق، وقد كان إبراهيم جَدًّا لقبيلة لاوى ومن ثم لقبيلة هارون[89]، وقد أكد القديس بولس على هذا التراتب بقوله حتى أقول كلمة إن لاوى أيضا الآخذ الأعشار قد عُشِّرَ بإبراهيم[90]، ورغم أننا لن نستقصى مسألة الكهنوتين بأكثر من ذلك فإن كلمات القديس بولس تستحق الاقتباس، ففى الكهنوت اللاوى أناس مائتون يأخذون عشرا وأما هناك فالمشهود له بأنه حى[91]. وهذا المشهود له هو مَلْكِى صَادَق الحى، وهو كذلك مانو الذى يمكن القول عنه صدقا يبقى كهنوته إلى الأبد . وهو فى العبرية لو عولام، أى طوال دورة الإنسان على الأرض

[86] التكوين 22،14.

[87] والقيمة العددية لكليهما 197.

[88] وهذا هو التبرير الكامل للهوية التى أشرنا إليها سلفا، إلا أنه يحسن ملاحظة أن المشاركة فى تراث قد لا تكون واعية على الدوام، ولكنها حتى فى هذه الحالة حقيقية كوسيلة لتداول ’النفوذ الروحى‘ دون التنويه إلى احتلال مقام فعال فى أى طريق كانت للتربية الروحية.

[89] ويمكن القول بناء على هذه الملاحظات أن التراتب المذكور يناظر العلاقة بين العهد الجديد والعهد والقديم، راجع رسالة إلى العبرانيين 22،7، وهذه مناسبة لتفسير الغاية التى ولد المسيح عليه السلام من أجلها فى قبيلة لاوى الملكية، راجع رسالة إلى العبرانيين 11،7-17، ولكن الإسهاب فى هذه الاعتبارات سوف يجنح بنا عن أطروحتنا. فمنظومة الاثنى عشرة قبيلة التى تناسلت من اثنى عشر سبطا تضاهى البنية الاثنى عشرية للمراكز الروحية بشكل طبيعى.

[90] الرسالة الأولى إلى العبرانيين 9،7.

[91] الرسالة الأولى إلى العبرانيين 8،7.

مانفانتارا، أو طوال بقاء العالم الذى يحكمه، ولذا كان بلا نسب، فأصله فوق إنسانى حيث إنه بذاته مثال للإنسان الكامل، وحقا يشبه ابن الله بموجب أن القانون الذى استنه يصبح صورة الكلمة الربانية فى هذا العالم[92].

ومن أهم النقاط التى نرغب فى طرحها أن قصة 'ملوك المشرق' يظهر فيها ثلاثة أشخاص متميزين هم رؤساء هيكل التربية الروحية الثلاثة، فى حين أن قصة مَلْكِى صَادَق بها شخصية واحدة، ولكنها استطاعت أن تقوم بالوظائف الثلاثة المناظرة لوظائفهم. وكان ذلك هو السبب الذى حدا بالبعض إلى أن يضفوا عليه تخصيصا أدق بتسميته 'قاضى الحق آدونى صادَق' والذى ينقسم إلى كاهن الحق كوهين صَادَق وملك الحق مَلْكِى صَادَق ، والحق أن هذه تضاهى تماما وظائف براهماآتما وماهاآتما وماهانجا فى الهندوسية[93]. ورغم أن اسم مَلْكِى صَادَق ليس إلا اسم الجانب الثالث ولكنه يمتد عادة ليشتمل على الأسماء الثلاثة ككل واحد، وهو ما يعنى أن الوظيفة الثالثة هى الأقرب إلى العالم الظاهر المتجلى، وكذلك يجوز القول بأن تعبيرى 'ملك العالم' و'ملك الحق' يدُلان مباشرة على السلطة الملكية فحسب، ونجد فى الهند تعبير دهارما راجا الذى يعنى حرفيا مَلْكِى صَادَق[94].

ولو أخذنا اسم مَلْكِى صَادَق بمعنى منضبط فإن الأدوات اللازمة 'لملك الحق' هى الميزان والسيف، وهى ذات الصفات التى تُضفى على الملاك ميخائيل باعتباره 'ملاك الحق'[95]، ويمثل هذان اللقبان على المستوى الاجتماعى الوظيفتين الإدارية والعسكرية على التوالى، والتى يتكفَّلُ بها البراهمة و الكاشاطريا، وهما العنصران اللذان تتكون منهما السلطة الملكية. ولو طبَّقنا القواعد الإيديوجرافية فهما يشاكلان الحرفين العبريين والعربيين لكلمة 'حق'، والتى تعنى فى اللغتين كلا من 'الحق' و'الحقيقة'[96]، وكذلك تعنى 'الحق الملكى' بين الشعوب القديمة[97]، ويرمز

---

[92] ويسبغ غنوصيو الأسكندرية على مَلْكِى صَادَق كُنْيَة أعظم من استقبل النور السرمدى فى كتاب *Pistis Sophia*، ويتسق ذلك مع وظيفة مانو الذى يستقبل نور الذكاء من الشعاع الصادر مباشرة عن المبدأ، ويعكسه بدوره على العالم الذى يحكمه، ولذا كان مانو يسمى ' ابن الشمس'.

[93] ولا زال هناك تراث ممتد عن ملكى صَادَق ، ويقول بعضه إن الملاك ميخائيل قد رسم ملكى صَادَق للفردوس الأرضى فى عامه الثانى والخمسين، ويقوم هذا العدد بدور مهم فى التراث الهندوسى بموجب أنه عدد المعانى التى اشتملت عليها الفيدا، ويقال حتى إن هناك عددا مماثلا لطرق نطق المقطع المقدس آوم.

[94] وهذا الاسم أو بالحرى اللقب دهارما راجا يدل فى ماهابهاراتا على يوديشتهيرا، ولكنه كان يدل قبل أى شىء آخر على 'قاضى الموتى ياما' الذى أشرنا إلى علاقته الوثيقة بمانو.

[95] وترسم الأيقونية المسيحية الملاك ميخائيل بهاتين الوسيلتن فى تصوير 'الحاقة *The Last Judgement*'.

[96] وقل مثل ذلك عن أن ما أو ماعت فى مصر القديمة تمثل 'الحق' و'الحقيقة' معا، وتظهر فى رسم حائطى على كفَّة الميزان وفى الكفة الأخرى إناء يرمز إلى القلب وهو شكله الهيروغليفى، وتعنى كلمة حق فى

الميزان إلى التوازن بينهما ويرمز السيف إلى القوة[98] التى يتميز بها الدور الرئيسى للملكية فى المنظومة الروحية، أو هى قوة الحق. أضف إلى ذلك أن هناك اشتقاق آخر من جذر ’حق‘ بتبديل علامة السلطة الروحية بعلامة السلطة المادية، وحيث إن الجذر ’حك‘ يعنى ’حكمة‘، وهى حُكماه بالعبرية، فهى الأنسب للتعبير عن السلطة الكهنوتية مثلما كانت الأخرى أنسب للتعبير عن السلطة الملكية. ويؤكد ذلك أن الشكلين المتناظرين يتواجدان فى معان مشابهةٍ مشتقةٍ من جذر ’كان‘ الذى يعنى ’القوة‘ و’الكفاءة‘ و’المعرفة‘ فى لغات مختلفة[99]. وتعنى كلمة ’كانٍ‘ السلطة الروحية أو البصيرية التى تتماهى مع الحكمة، ومنها اشتُقَت لفظة كوهين بمعنى كاهن فى العبرية، فى حين تعنى ’خان‘ السلطة المادية التى اشتُقَ منها رهط من الكلمات التى تعبر عن فكرة ’التملك‘[100]، ولا شك أن هذه الجذور واشتقاقاتها قد تثير اعتبارات أخرى، ولكن علينا أن نقتصر على ما تعلق مباشرة بموضوعنا الراهن.

واستكمالا لهذا النحو من التفكير نتذكر أن القبالة العبرية تنص على أن الشكيناه تتمثل فى العالم الأدنى بآخر العوالم العشرة سيفيروه التى تسمى ملكوث بمعنى مملكة، وهى تسمية تهمنا من المنظور الحالى، وما يهمنا أكثر من ذلك هى المترادفات التى تُضفَى على ملكوث حيث نجد بينها صَادَق، أو ’العادل‘[101]، ونلتقى مرة أخرى بالتحول من ملكوث إلى صَادَق أو الملكية بمعنى حكومة العالم والعدل فى اسم مَلْكِى صَادَق. ويعنى العدالة المتوازنة الشاملة فى هذا السياق، والتى يرمز إليها ’العمود الأوسط‘ من شجرة الملكوث، ولابد أن تتمَّيَّز عن العدل الذى يناقض الرحمة، والذى يرمز إليه العمود الأيسر من الشجرة، وتميز بينهما اللغة العبرية بكلمتا ’صادَق‘ و’دين‘. وأولهما يعنى العدل بأكمل معنى للكلمة، ويشير جوهريا إلى فكرة التوازن أو التناسق، ويرتبط ارتباطا لا ينفصم ’بالسلام‘.

....

العبرية ’مرسوم‘. إنى أخبر من جهة قضاء الرب، مزامير 7،2.

97 والقيمة العددية لِكلمة ’حق‘ 108، وهو أحد الأعداد الدورية الأساسية، ففى الهند تتكون المسبحة الشيفية من 108 حبّة، وترمز المسبحة ذاتها إلى ’سلسلة العوالم‘، أى السلسلة السببية للمدورات الوجود أو أحواله.

98 ويجوز تلخيص هذا المعنى فى عبارة ’القوة فى خدمة الحق *might in the service of right*‘ إذا لم يكن الاستخدام الحديث قد انحط بها إلى معنى سطحى تماما.

99 راجع 24 *Esoterism of Dante, ch7.*

100 ولفظة ’خان‘ لقب يُسبَغُ على القادة فى شعوب وسط آسيا، وربما ارتبط بالجذر ذاته.

101 ويُطلَقُ اسم صَادَق على كوكب المشترِي فِي العبرية الذى يسمى باسم الملاك صادَقيل ميليك، والجناس القائم بين هذا الاسم واسم مَلْكِى صادق لا يستدعى برهانا، ويطلق على الكوكب ذاته فى الهند بريهاسباتى، وهو يساوى ’الفقيه السماوى‘.

والملكوث هو ’مستودع للماء الذى يفيض من نهر علوى، أى إنه انبثاق غامر يتوحد فيه للطف الربانى والبركة الروحية‘[102]، ويذكرنا ’النهر العلوى‘ والماء الذى يفيض منه بنهر الجانج السماوى فى التراث الهندوسى، حتى إن المرء يمكنه القول إن شاكتى الذى يعتبر النهر وجها لها لا تختلف عن شكيناه حتى لو كان ذلك بموجب الوظيفة ’الربانية‘ لكلتيهما. ولا شك أن مستودع الماء السماوى يتماهى مع المركز الروحى ’لهذا العالم‘، والتى تجرى فيه الأنهار الأربعة فى الفردوس بَرْدِس نحو الجهات الأصلية الأربع. ويماهى اليهود بين المركز الروحى وبين جبل صهيون *Zion* الذى يكنون عنه بتعبير ’قلب العالم‘، وهى تسمية تشترك فيها ’الأراضى المقدسة‘ كافة، ويصبح مكافئا عندهم لجبل ميرو عند الهندوس أو جبل آلبورج عند الفرس[103]، و’المذبح المقدس للرب يهوى‘ و’موئل الشكيناه‘ و’قدس الأقداس‘ أى قلب المعبد، وهو ذاته مركز جبل صهيون أى أورشليم، كما أن الجبل ذاته مركز أرض إسرائيل، وأرض إسرائيل ذاتها مركز العالم[104]، ويمكن أن ندفع ذلك كله إلى نطاق أبعد، ليس فقط فى ترتيب الأسماء التى تواترت ترتيبا عكسيا بل كذلك بإضافة أن مذبح المعبد مركزه خيمة العهد وخيمة العهد مركزها حضور شكيناه التى تتجلى بين عمودى الكروبيين، ويمثل كل هذا مقاربات متتابعة ’للقطب الروحى‘.

ويصور دانتى أورشليم كقطب روحى بالطريقة ذاتها، وقد فصَّلنا القول عن ذلك فى موضع آخر[105]، ولكن بمجرد أن نترك المنظور اليهودى البحت فإن ذلك المركز يصبح رمزيا فحسب ولا يشكِّلُ موضعا مكانيا بالمعنى المنضبط. وكافة المراكز الروحية الفرعية التى تبتغيا تطويع التراث القديم لأحوال بعينها كما رأينا سلفا ليست إلا صورة للمركز الأسمى بموجب التشابه، فاسم أورشليم هو حقا صورة لشاليم الحقيقية، وما قيل وما سوف يقال لاحقا عن ’الأرض المقدسة‘ وليس مجرد أرض إسرائيل سوف يعيننا على فهم هذه المسألة بلا صعوبة.

وقد ظهر تعبير بالغ الأهمية عن هذا الأمر كمرادف لتعبير ’الأرض المقدسة‘ هو ’أرض الأحياء‘، ومن الواضح أنه يعنى ’موئل الخلود‘، وينطبق بدقة على مفهوم الفردوس الأرضى أو

---

102 *La Kabbala juive, I, p509.*

103 وكان عند السامريين جبل جرزيم الذى قام بالدور نفسه وأُسبغ عليه الأسماء ذاتها، فهو ’ الجبل المبارك‘ و’بيت الرب‘ و’ قبلة الملائكة‘ و’موئل الشكيناه‘، وهو يتماهى حتى مع ’ الجبل الأولانى هار قاديم‘ حيث كانت جنة عدن التى غرقت فى الفيضان.

104 *La Kabbala juive, I, p509.*

105 *The Esoterism of Dante, Ch 8.*

ما يناظره رمزيا، إلا أن هذه الاسم قد أطلق على ’الأرض المقدسة‘ الفرعية، أى أرض إسرائيل. ويقول فوليو ’إن أرض الأحياء تتكون من سبع أراضٍ هى أرض كنعان التى يعيش عليه سبعة شعوب‘[106]. وهذا صحيح بالمعنى الحرفى، ولكن هذه الأرض الرمزية فى التراثين اليهودى والإسلامى تناظر الأراضى السبع **دفيبات** *dvipas* فى التراث الهندوسى التى تتحلق حول مركزها وهو جبل ميرو، وسوف نعالج هذا الأمر فيما بعد، كما أن هناك تشابها مدهشا لا يُحتمل أن يكون عرضيا بين العصور السبعة **للمانوات** *Manus* السبعة منذ بداية عصر الإنسان كالبا حتى عصرنا هذا وما سبقه من عوالم[107] مثلها ’ ملوك إيدوم السبعة‘ الذين يناظرون ’الأيام السبعة‘ فى سفر التكوين.

---

106 La Kabbala juive, II, p*116*.

107 وتتكون كالبا من أربعة عشرة مانفانتارا أو فايفسفاتا، ومانو الحالى هو السابع فى كالبا الحالية، ويُطلق عليه شرى شفيتا فاراها كالبا، أى ’عصر الدب الأبيض‘ . ومن العجيب أيضا أن اليهود يسمون روما إيدوم، ويتحدث التراث الغربى عن سبعة ملوك لروما، ويسمى ثانيها نوما الذى يعد مشرعًا للمدينة، ويلقّب بألقاب لا تقتصر على قلب هجاء مانو بل تتعلق كذلك بالمعنى اليونانى نيموس أى ’قانون‘. وهناك إذن أساس للاعتقاد بأن الملوك السبعة لروما تمثيل مخصوص للمانوات السبعة فى حضارة بعينها، شأنهم شأن حكماء اليونان السبعة وحكماء الهندوس السبعة ريشى، والذين تجسدت بهم حكمة الدورة التى سبقت الدورة التى نعيشها الآن.

مدينة لوز موئل الخلود

يتحدث تراث كثير من الأمم عن 'عالم ما تحت الأرض'، ولا ننوى تعداده حاليا حيث إن بعضه لا صلة له بموضوعنا. ولكن يحسن الإشارة بشكل عام إلى أن 'نزعة الكهوف' دائما ما تتصل بفكرة 'القلب الباطن' أو 'الموقع المركزى' وأن رمزى الكهف والقلب يلتقيان عن قرب[108]. ويحتوى وسط آسيا وأمريكا على كهوف ومواقع تحت الأرض عاشت فيها مراكز روحية طوال قرون. وليس من الصعب استقطار رمزية بعينها من هذه الوقائع الطبوغرافية العرضية، حتى إنه يمكن القول أن هناك اعتبارات رمزية حَدَتْ إلى اختيار هذه الأماكن مقارًّا لطرق تربية روحية أكثر منها احتياطا أمنيا. وربما استطاع سانت إيف تفسير هذه الرمزية ولكنه قصَّرَ فى ذلك، ولذا اكتسى بعض أجزاء عمله بصبغة خيالية[109]. أما عن أوسِّيندوفسكى فلا شك أنه لم يتخط حدود ما قيل له، ولم ير فيه إلا المعانى الحرفية الفجَّة.

ومن بين الأديان التى نوهنا عنها دين له اعتبار مهم هو اليهودية، وتتعلق فكرتها بمدينة غامضة تسمى لوز[110]، وقد كان ذلك اسم الموضع الذى رأى فيه يعقوب رؤيته، وقد سُمِّىَ فيما بعد باسم 'بيت الله بيت إيل'[111]، وسوف نرجع إلى هذه المسألة لاحقا. ويقال إن 'ملاك الموت' لا يملك دخول هذه المدينة ولا سلطان له عليها، ويقول البعض إنها تقع بالقرب من آلبورج الفارسية التى تشكل 'موئل الخلود' عند الفرس.

ويقال إن هناك شجرة لوزٍ بالقرب من مدينة لوز، وتحتها مغارة تؤدى إلى نفق[112] يصل

---

[108] ويمثل الكهف أو المغارة تجويف القلب كمركز للكائن، كما أنه مُخٌّ 'بيضة العالم'.

[109] مثل الفقرة التى تحكى عن 'الهبوط إلى الجحيم'، والتى يمكن مضاهاتها بما قيل عن الموضوع ذاته فى كتابنا *The Esoterism of Dante.*

[110] والمعطيات الواردة فى هذا السياق مقتبسة جزئيا من الموسوعة اليهودية *Jewish Encyclopaedia, VIII, 219*

[111] التكوين 19،28.

[112] وقد جاء فى تراث شعوب قديمة من الشمال الأمريكى ذكر شجرة استطاع بعض الذين عاشوا فى العالم السفلى بمعونتها أن يخرجوا إلى سطحه، وظل الباقون تحت الأرض، وربما ألهم هذا التراث *Bulwer-Lytton* ليكتب كتابه *Vril: The Power of the Comong Race.*

إلى المدينة التى تظل خفية تماما. وتعنى كلمة لوز بين معانيها المختلفة فى اشتقاقها من جذر يدل على كل ما خفىَ أو حُجِبَ أو غابَ أو ظلَّ سرًّا، ومن المثير ملاحظة أن الكلمات التى تصف السماء كان لها أصلا ذات المعنى، فعادة ما نساوى بين ***Coelum*** اللاتينية بمعنى السماء وبين الكلمة ***coilon*** اليونانية بمعنى 'تجويف' التى لها علاقة واضحة بالكهف، خاصة وأن فارُّو ***Varro*** يشير إلى ذلك فى تعبير ***a cavo coelum*** أى كهف أجوف، ولكن لنلاحظ كذلك أن ***Coelum*** هو أقدم المعانى وأكثرها أصالة، وهو يعيد إلى الذهن فعل ***calare*** بمعنى 'أخفى'. وكلمة فارونا فى السنسكريتية مشتقة من فار ***var*** بمعنى 'غطى أو حجب'، وله المعنى ذاته المقصود بجذر ***kal***، والذى يرتبط فى اللاتينية بمعنى ***celare*** أى مخزن تحت الأرض، وهو اشتقاق آخر من فعل ***celare***، ومرادفها اليونانى ***kaluptein*** [113]، والكلمة اليونانية أورانوس هى الأخرى صورة للاسم نفسه لسهولة تصحيف مقطع 'فار' بمقطع 'أور'. وتعنى هذه الكلمات 'ما يغطى'[114] و'ما يحجب'[115]، وتنطوى الثانية على معنى مزدوج باعتبار أن ما خفى عن الحواس ينتمى إلى الوجود اللطيف، ولكنها تعنى التراث ذاته فى أزمنة الظلام والغموض، ولا تظل برانية متجلية بل إن 'العالم الربانى' يصير 'العالم تحت الأرضى'.

وأحد صفات مدينة لوز أنها تسمى 'المدينة الزرقاء' مما يربطها بلون الياقوت الأزرق ***saphire***[116] لون السماء. ويقال فى الهند إن لون السماء ناتج عن انعكاس نور السفح الجنوبى لجبل ميرو الذى يطُلُّ على جامبو دفيبا، وهو مكسوٌّ بالياقوت الأزرق. ويشير ذلك بوضوح إلى الرمزية ذاتها، ثم إن جامبو دفيبا لا تمثل الهند بالمعنى المعتاد فحسب بل ترمز إلى العالم الأرضى بكامله، ويعتبر الهندوس أن هذا العالم بكامله واقع إلى الجنوب من جبل ميرو الذى

---

113 وتشتق كلمات أخرى فى اللاتينية من جذر *kal* ذاته، مثل ***caligo*** وربما تعنى مجمل المذاهب الغيبية ***occultus***. ويجوز من منظور آخر أن يكون ***caelare*** قد اشتق عن مصدر آخر هو ***caed*** بمعنى 'يقطع' أو 'يقسم'، ومنها جاءت أيضا ***cadere*** وبالتالى 'يفصل' و'يخفى'، ولكن الأفكار التى تعبر عنها هذه الجذور تتقارب من بعضها بعضا، ويمكن أن ينبثق عن ذلك ببساطة فهم ***caelare*** و***celare*** رغم اختلاف أصول جذريهما.

114 ويُفسَّر 'سقف العالم' بأنه 'الأرض السماوية' أو 'أرض الأحياء'، وله فى تراث وسط آسيا صلة قريبة 'بالسماء الغربية' التى يحكمها أفالوكيتشفارا. أما عن معنى 'التغطية' فنتذكر التعبير الماسونى 'تحت الغطاء'، ويطلق على السقف المحلَّى بنجوم القبة السماوية.

115 وهو قناع إيزيس أو نيث عند قدماء المصريين، ويمثل 'الحجاب الأزرق' للأم الربانية فى تراث الطاوية، راجع أناشيد الطريق والفضيلة الباب السادس. ويعنى استخدام هذا التعبير فى الإشارة إلى السماء المرئية تقريب دور الرمزية الفلكية فى إخفاء أو كشف الحقائق العلوية.

116 ويقوم الياقوت بدور مهم فى الرمزية التوراتية، فهو يظهر على الخصوص فى رؤى الأنبياء والصالحين.

يرمز إلى القطب الشمالى[117]، وتطفو الدفيبات السبع التى تعنى حرفيا ’جُزُرٌ‘ أو ’قارَّات‘ فى سياق دورات بعينها، حتى إن كلاً منها تناظر العالم الأرضى فى المرحلة الدورية المناظرة لها، وتكون معا زهرة لوتس مركزها جبل ميرو، وتتجه بتلاتها إلى المناطق السبعة[118]. ويطل كل وجه من أوجه جبل ميرو على واحدة من الدفيبات السبع، وكلٌّ من تلك الأوجه يمثل لونا من ألوان الطيف[119]، وجُمَّاع الألوان هو الأبيض الذى يناظر السلطة الروحية الأسمى[120]، وهو لون جبل ميرو ذاته حيث يوصف ’بالجبل الأبيض‘، وتمثل الألوان الأخرى جوانبه التى تناظر الدفيبات المختلفة. وقد يبدو أن ميرو يحتل مواضعا تختلف باختلاف تجلى كل دفيبا، ولكنه على الحقيقة ثابت ثبات المركز، إلا أن توجهات العالم الأرضى تتغير بالنسبة إليه من حقبة إلى أخرى.

ولنعد الآن إلى الكلمة العبرية لوز ومعانيها الشتى التى تستحق الانتباه. وهى بالمعنى المعتاد تعنى ’لوز‘، و’شجرة لوز‘ و’نواة‘، والنواة على الدوام هى القلب الخفى، وهى مكسوَّة تماما بحيث توحى بفكرة ’العصمة‘[121]، وهى كذلك رمز لآجارتها. إلا أن ’لوز‘ هى اسم أى جزء عضوى لا يفسد، وتمثل رمزيا عظاما صلبة للغاية تظل النفس مرتبطة بها بعد الموت إلى يوم

---

117 ويسمى الشمال فى السنسكريتية أوتَّارا بمعنى المنطقة الأعلى، ويسمى الجنوب داكشينا الذى يقع إلى يمين الناظر إلى الشرق. وأوتاريانا هو مسار الشمس فى ارتفاعها نحو الشمال، ويبدأ بالاعتدال الربيعى وينتهى بالاعتدال الخريفى، وداكشينايانا هو مسار الشمس فى هبوطها نحو الجنوب، ويبدأ من الاعتدال الخريفى وينتهى عند الاعتدال الربيعى.

118 وتتكون المناطق السبعة فى الرمزية الهندوسية التى حافظت عليها البوذية فى مفهوم ’الدرجات السبع‘ من الجهات الأربع الأصلية والسمت والنظير ثم المركز ذاته، ولنلاحظ أن ذلك التمثيل يشكل صليبا فى اتجاهات ثلاثة. وكذلك رمزية القبالة العبرية عن ’القصر المقدس‘ أو ’القصر الداخلى‘ الذى يشكل مركزا للاتجاهات الستة، ومن ثم تصير سباعية العناصر، ’ويقول القديس كليمنت السكندرى ’إن اللّه هو قلب الكون الكلى الذى ينبثق منه ستة امتدادات لانهائية إلى أعلى وأسفل ويمين ويسار وأمام وخلف، وينظر إلى الاتجاهات الستة كما لو كان ينظر إلى عدد واحد على الدوام، ويبنى العالم بتمامه؛ فهو الأول والآخر، وقد اكتملت به المراحل الست للزمن، وتتلقى منه لانهائية امتدادها، وهذا هو سرّ عدد سبعة‘، راجع La Kabbala Juive, I, p215-16، ويتعلق كل ذلك بامتداد النقطة الأولانية القديمة فى المكان والزمن. وتناظر المراحل الست للزمن الاتجاهات الست للمكان، وأحيانا ما يشار إليها رمزيا بأنها ألفيات ست، والتى تتمثل فى رمزية أيام الخلق الستة الأولى فى سفر التكوين، ويرمز السبت إلى مرحلة العودة إلى المبدإ، أى إلى المركز. وهكذا يكون لدينا سبع أحقاب يمكن ربطها بالتجليات المناظرة للدفيبات السبع، ولو كانت كل منها تمثل مانفانتارا، فإن كالبا تتكون من دورتين سباعيتين كاملتين، وتصح الرمزية ذاتها بدرجات مختلفة بحسب الدوام الأطول والأقصر للأحقاب الدورية المقصودة.

119 راجع ملاحظتنا السابقة عن رمزية قوس قزح، وهى على الحقيقة ستة ألوان مرتبة فى ثنائيات متكاملة، وتناظر الاتجاهات الستة بالطريقة ذاتها، وليس اللون السابع إلا الأبيض ذاته كما أن النطاق السابع هو المركز.

120 ولا يضفى هيكل الكنيسة الكاثوليكية اللون الأبيض على البابا بلا سبب.

121 ولذا اتُخِذَت رمزا للعذراء عليها السلام.

الساعة[122]. حيث إن النواة تحتوى على البذرة كما تحتوى العظام على النخاع، ولذا احتوت اللوزة على العناصر الافتراضية الضرورية لقيام الكائن، والذى سوف يجرى بفعل 'الندى السماوى' الذى سيحيى رميم العظام. وينوه القديس بولس ببلاغة فائقة إلى هذا الأمر فى آية يُزرَعُ فى هوان ويُقامُ فى مجد[123]، ويشير 'المجد' فى هذا السياق وكل سياق آخر إلى الشكيناه، ولكنها هنا فى العالم الأسمى الذى يرتبط به 'الندى السماوى'، وحيث إن لوز لا يصيبها فساد فهى 'نواة الخلود'[124] فى الكائن الإنسانى مثلما كانت المدينة 'موئل الخلود' حيث لا سلطان 'لملاك الموت' فى الحالين كما لو كانت بيضة أو جنين الخلود[125]، ويمكن مقارنتها بالشرنقة التى تفقس منها الفراشة[126]، وهى مقارنة منضبطة تعبر عن البعث تعبيرا تاما.

ويقال إن موضع لوز فى الإنسان على مقربة من أسفل العمود الفقارى، وقد يبدو ذلك غريبا، ولكنه يتضح حين نقارنه بما يقوله التراث الهندوسى عن القوة التى يسميها كونداليني[127]، وهى أحد أشكال شاكتى باعتبارها كامنة فى الجسد اللطيف للإنسان[128]، وتصورها الأيقونية الهندوسية على شكل ثعبان مُلتَفّ فى أسفل العمود الفقارى، وهذه هى الحال فى الإنسان العادى على الأقل، ولكنها تستيقظ بالتدريب فى طرق روحية مثل هاثا يوجا، وتفك لفاتها وترتفع فى عجلات شاكرا أو زهور اللوتس كمالات التى تناظر الضفائر العصبية حتى تبلغ موضع 'عين شيفا الثالثة' فى الجبهة. وتمثل هذه المرحلة استرجاع 'الحال الأولانى' الذى يستعيد فيه الإنسان 'الإحساس بالخلود'، ويحقق بذلك ما كان يدعوه 'خلودا افتراضيا' فى أحواله السابقة. ولا زلنا حتى الآن فى مقام الحال الإنسانى، وترتفع كونداليني

---

[122] ومن العجيب أن ذلك التراث اليهودى قد أوحى بنظريات بعينها مثل نظرية لايبنتز عن الكائن الحى الذى يختزل بعد الموت إلى نموذج دقيق.

[123] الرسالة الأولى إلى أهل كورينثوس، 15،42. وتنطوى هذه الكلمات على تطبيق صارم لقانون التشاكل، 'فكما يكون الأعلى يكون الأسفل مقلوبا'.

[124] وتعنى كلمة أكشارا فى السنسكريتية 'ما لا يذوب' و'ما لا يفسد' و'ما لا يحطم'، وتعنى المقطع والعنصر الأولانى ونطفة اللغة، وتقال عن المقطع المقدس أوم الذى يحتوى على جوهر الفيدا الثلاثية.

[125] ونجد ما يساويها فى أشكال أخرى من التراث وخاصة فى بعض تطورات الطاوية المهمة. وهى تشاكل بالنسبة إلى مقام الكون الأصغر 'بيضة العالم' حيث إنها تنطوى على احتمالات 'دورة مستقبلية'، وهى حياة العالم القادم فى العقيدة الكاثوليكية.

[126] ويمكن أن نرجع إلى الرمزية اليونانية فى كلمة بسيخى *Psyche* التى تعتمد على هذا التشابه. راجع *Psyche* عند *F. Pron*.

[127] وتعنى كلمة كوندالى المذكرة 'ملفوف على شكل خاتم أو حلزون' وترمز إلى الحالة الجنينية أو 'ما قبل النمو'.

[128] كما يقال إن موئلها فى تجويف القلب، وقد نوهنا سلفا إلى العلاقة بين شاكتى الهندوسية وشكيناه اليهودية.

بعدها إلى اليافوخ، وتعنى هذه المرحلة الأخيرة الغلبة النهائية للأحوال العليا للكائن. ويتمخَّضُ عن هذه المقارنة أن موضع لوز فى أسفل الجسد يشير فحسب إلى حال ’الإنسان الساقط‘، أما عن الإنسانية الأرضية بكاملها فيمكن القول إنه موضع المركز الروحى الأسمى فى عالم ما ’تحت الأرض‘[129].

[129] ويتعلق كل ذلك بالمعنى الحقيقى للمقولة الهرمسية الشهيرة ’اذهب إلى المناطق الأسفل من الأرض، وسوف تجد الشيء الخفى، وهو حجر الفلاسفة الذي هو الدواء الحقيقى‘، وهو فى الآن ذاته ’إكسير العمر الطويل‘ الذى ليس إلا ’إكسير الخلود‘. وأحيانا ما تُكتب *interiora* فى موضع *inferiora*، ولكن ذلك لا يغير من المعنى العام، حيث تظل الإشارة قائمة إلى ’عالم ما تحت الأرض‘.

8

خفاء المركز الأسمى فى عصر كالى يُوجا

يُقال إن آجارتها كانت دائما تحت الأرض ولكنها لن تظل كذلك. فيقول أوسِّيندوفسكى إنه سيكون زمان 'يصعد فيه أهل آجارتها من مغاراتهم إلى سطح الأرض'[130]. وقد كان لمركز آجارتها اسم آخر قبل أن يختفى من العالم المنظور، فآجارتها تعنى 'ما لا يُدرك' أو 'ما لا يُطال'، كما أنه يعنى 'المعصوم' حيث إن اسم شاليم 'موئل السلام' لن يكون مناسبا، ويقول أوسِّيندوفسكى بوضوح إنه انسحب إلى ما تحت الأرض 'منذ أكثر من ستة آلاف عام'، ويشير بذلك إلى تاريخ يقارب بداية العصر المظلم كالى يوُجا، أو العصر الحديدى فى الغرب القديم، وهو العصر الأخير من أربعة عصور تتكون منها مانفانتارا[131]، وسوف يواكب ظهورها نهاية هذا العصر.

وقد ذكرنا فيما تقدم تنويه كل الأديان برموز مختلفة عن أمر ضاع أو اختفى[132]، ولو أخذنا هذا الأمر بمعناه العام الذى يهم الإنسانية الأرضية برمتها فإن ذلك الضياع أو الخفاء يناظر تماما أحوال الإنسانية فى العصر الأسود كالى يوُجا، والحقبة الحالية إذن هى زمن غموض واضطراب[133]، وأحوالها التى تترى طوال استمرار العصر الأسود لا بد أن يواكبها

[130] *Ferdinand Ossendowski, Beasts, Men and Gods, p314.*، وهى ختام نبوءة تنبأ بها ملك العالم عام 1890 حينما كان فى دير نارابانشى.

[131] وتعنى مانفانتارا 'عصر الإنسان' الذى يسمى أيضا ماهايوُجا، ويشتمل على أربعة عصور ثانوية هى كريتا يوجا أو ساتيا يوجا وتريتا يوجا ودفابرا يوجا وكالى يوجا، وهى تناظر على الترتيب العصر الذهبى والعصر الفضى والعصر البرونزى والعصر الحديدى فى الرمزية اليونانية الرومانية القديمة. وقد توالت فى العصور التى تلتها مادية مطّردة نتجت عن التباعد المستمر عن المبدإ الذى واكب التجليات الدورية فى العالم المتجسد بدءا من 'الحال الأولانى'.

[132] راجع الباب الخامس.

[133] وتتناول الرمزية التوراتية هذه الحقبة منذ بناء برج بابل و'تفرق اللغات'، ويمكن الظن منطقيا بأن السقوط والفيضان يناظران نهاية العصرين الأولين على الترتيب، ولكن بداية التراث اليهودى على الحقيقة لم تواكب بداية مانفانتارا. فلا يصح نسيان أن قوانين الدورات ليست قابلة للتطبيق بدرجات مختلفة وفترات دوام متباينة أو أنها قد تجور على بعضها البعض، ومن هنا جاء التعقيد الذى يبدو عصيا على الفهم والحل إلا باعتبار التراتب الهيكلى فى المراكز التراثية المناظرة.

اختفاء المعرفة المرتبطة بالتربية الروحية، ويفسر ذلك طبيعة أسراريات الزمن 'التاريخى' القديم والجماعات الأسرارية، والذى لا يصل حتى إلى بداية تلك الفترة[134]. وتحقق تلك الجماعات تربية روحية فعالة فى وجود مذهب تراثى، ولكنها لا تقدم أكثر من ظل باهت للمذهب حيث إن روح التراث لم تعد قادرة على إحياء الرموز التى تشكل ظاهرها، وهو ما يحدث لأسباب مختلفة حينما تنكسر العلاقة بينها وبين المركز الروحى للعالم. وهذا هو المعنى الأخصّ لفقدان التراث فيما تعلق بالمراكز الروحية الفرعية، والتى تشكل صدعا فى العلاقات الفعالة مع المركز الأسمى.

وهكذا يكون على المرء أن يتحدث عما اختفى من أمور لا عما ضاع منها، فليست ضائعة من الجميع على الحقيقة، ولازال هناك قلائل يحتكمون عليها بكليتها، ولو كان ذلك حقيقة فإن هناك على الدوام إمكانية لاستعادتها شرط البحث عنها بالطريق الصحيح، بما يعنى أن نواياهم تتوجه نحو الترددات المتسقة التى توقظ 'الأفعال وردود الأفعال المتوافقة'[135]، ونحو تأسيس تواصل روحى مع المركز الأسمى[136]. وتمثل رمزية التوجه الشعائرى خلوص النية فى الأديان كافة، والحق أن ذلك التوجه يتغيا اتجاه المركز الروحى، والذى هو صورة 'لمركز العالم' على الدوام أيًّا كان مشربه[137]. وكلما أوغل عصر كالى يوُجا فى الزمن كلما استعصى الاتصال بهذا المركز الذى يصبح أشدُّ خفاءً، وتصير المراكز الفرعية أكثرُ نُدْرَةً[138]. إلا أنه حينما يبلغ العصر نهايته المحتومة فسوف يتجلى التراث بكامله مرة أخرى، فبداية كل مانفانتارا تتسق مع نهاية التى سبقتها، والتى تعنى عند الإنسان الأرضى عودة إلى 'الحال الأولانى'[139].

وقد انكسرت فى الغرب حاليا كافة المحاولات التى تحاول الاتصال بالمركز عن طريق

---

134 ويبدو أن حقيقة عجز المؤرخين عن تحديد زمان كل ما سبق القرن السادس قبل الميلاد لم تحظ بانتباه كاف.

135 وقد استعرنا هذا التعبير من المذهب الطاوى، كما أننا تقصد بكلمة 'نوايا' معنى يساوى تماما الكلمة العربية 'نِيَّة'، وبحيث نتفق مع المفهوم اللاتينى *intendere* بمعنى 'الميل نحو أمر ما'.

136 ويسمح لنا ما تقدم بتفسير قول الإنجيل وأنا أقول لكم اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتَح لكم. لوقا 11،9. ونلفت النظر هنا إلى ما سبق طرحه عن 'صلاح النية' و'حسن النية'، وهو ما سوف يوضح معنى تعبير على الأرض السلام وبالناس المحبة *pax in terra hominibus bonae volunntatis*' لوقا 14،3.

137 والتوجه نحو 'القِبْلَةَ' فى الإسلام يُجَسِّدُ النية، واتجاه الكنائس المسيحية تعبير آخر يرتبط جوهريا بالفكرة ذاتها.

138 والمقصود هنا ظهور نسبى بالطبع، فهذه المراكز الفرعية قد أصبحت مغلقة على ذاتها منذ بداية العصر الأسود كالى يوجا.

139 وهو تجلى أورشليم السماوية عند اليهود، وهو نهاية الدورة، وهو 'الفردوس الأرضى' ذاته الذى سوف يكون بداية دورة قادمة، وقد نوهنا عن ذلك تفصيلا فى كتابنا *Esoterism of Dante*.

مؤسسات معتادة، وقد كان ذلك الانكسار مستهدفا طوال قرون، ثم إن ذلك الصدع لم يتحقق بشكل فجائى بل بصورة تدريجية استغرقت عدة مراحل[140]. وقد بدأت المرحلة الأولى من بداية القرن الرابع عشر، وتشير دراسة أخرى لنا إلى أن فهم الغرض الرئيس من وجود فرسان المعبد *Templars* كان تأمين التواصل بين الشرق والغرب، وسوف ندرك على الفور أهميتها حين نتذكر أن المركز المقصود يُفْتَرَضُ وجوده فى مكان ما فى الشرق، ذلك على الأقل فيما تعلق بالأزمنة 'التاريخية'. إلا أن أخوَّةَ الصليب الوردى أو ما سميت بذلك قد ظهرت بعد تسريح طائفة فرسان المعبد، وقد استمرت فى تحقيق ذلك التواصل ذاته رغم أنها اتبعت طرقا خفية[141]. وقد بدأت النهضة والإصلاح حقبة جديدة حرجة، جاء بعدها الصدع النهائى الكامل الذى تزامن مع معاهدة وستفاليا التى أنهت حرب الثلاثين عاما فى 1648. وجدير بالذكر أن كثيرا من الكتاب قد أثبتوا أن مركز أخوَّة الصليب الوردى قد هاجر من أوروبا بعد نهاية حرب الثلاثين عاما بفترة وجيزة إلى آسيا، ونضيف إلى ذلك أن عددهم كان اثنى عشر مثل عدد رءوس طائفة آجارتهااتساقا مع الدستور العام لتكوين المراكز الروحية، والذى تجسد فى صورة المركز الأسمى.

ولم تحفظ أية منظمة غربية بقايا المعرفة الفعَّالة منذ ذلك الحين، فيقول سويدنبرج إن البحث عن 'العالم المفقود' يجب أن يتوجه إلى التبت أو تتارستان، كما رأت آن كاثرين إيمَّريتش فى رؤاها أن المكان الغامض الذى يسمى 'جبل الأنبياء' موجود فى المنطقة ذاتها. ولنضف إلى ذلك المعطيات المتناثرة لمدام بلافاتسكى التى استطاعت جمعها حول هذا الموضوع دون أن تفهم تماما حقيقة مغزاها، والتى انبثق عنها فكرة 'الموئل الأبيض العظيم'، والتى لا نسميها صورة ولكنها كاريكاتير أو حكاية خيالية عن آجارتها[142].

---

[140] وهناك من منظورٍ أوسع درجات التباعد بين الإنسان والمركز الأولانى القديم، وهذه الدرجات تناظر التمايزات بين اليوجات المختلفة.

[141] ولابد أن نشير هنا مرة أخرى إلى دراستنا *The Esoterism of Dante* رغم أننا قد طرحنا كل ما يبرر هذا التوكيد.

[142] وسوف يفهم الذين تابعوا الاعتبارات المذكورة لماذا نأنف عن أخذ منظومات الروحانية الزائفة التى انبثقت فى الغرب المعاصرعلى محمل الجد، والتى لم تنجح منها واحدة فى طرح أهون برهان على 'سلامتها' بعد اختبار هيِّن.

9

السُرَّةُ والحجرُ المقدس

يقول أوسّيندوفسكى فى كتابه 'إن ملك العالم' ظهر مرات عدة فى الهند وسيام 'وبارك الناس بتفاحة ذهبية رُسمَ عليها صورة حَمَل'[143]، وتصبح هذه التفصيلة بالغة الأهمية بالنظر إلى ما قاله سانت إيف عن 'دورة الحمل والوعل *The cycle of the Lamb and the Ram*'[144]. ونجد من منظور آخر أن الرمزية المسيحية تكرر ذكر صورة حَمَلٍ على جَبَلٍ ينبثق منه أربعة أنهار، وتتماهى بوضوح مع الأنهار الأربعة التى تفيض فى الفردوس الأرضى[145]. وقد ذكرنا أن آجارتهاحملت اسم باراديشا قبل أن يجثم العصر الحديدى كالى يوُجا، والتى تعنى فى السنسكريتية 'الوطن الأسمى' وتنطبق على المركز الروحى بلا منازع، كما يُكنى عنها 'بقلب العالم'، وقد اتخذ الكلدانيون من هذه الكلمة 'بَرْدِس'، وأسماها الغربيون *Paradise* بمعنى سابقتها، ومن شأن ذلك أن يبين السبب الذى حدا بنا إلى قول أنها فى كل أشكالها تعنى بَرْدِس فى القبالة اليهودية.

ومما قيل سلفا عن رمزية 'القطب' من اليسير أن نرى أن الفردوس الأرضى نظيرٌ 'للجبل القطب' الذى تتخذه جميع الأديان تقريبا، وقد ذكرنا منها جبل ميرو فى الهندوسية وجبل آلبورج عند الفرس وجبل مونتسالفات فى أسطورة الكأس المقدس فى الغرب وجبل قاف[146] عند العرب وجبل الأوليمب عند اليونانيين، وله المغزى ذاته فى الحالات جميعا.

---

[143] *Beasts, Men and Gods, p310*

[144] ويحسن أن نذكر القارئ بالمراجع التى رجعنا إليها فى معالجتنا لموضوع آنجي فى الفيدا، وهى *Esoterism of Dante, ch 8*، ومصير الإنسان فى الفيدانتا، باب 3، فالوعل *ram* فى الهند مطية لآنجى. ثم إن أوسّيندوفسكى يشير مرارا إلى أن عقيدة راما *Rama* منتشرة فى مونغوليا، فنجد دينا غير البوذية فى المضمار الرمزى ذاته على النقيض من كل ما ادَّعاه المستشرقون. وقد سمعنا من مصدر آخر رواية عن ذكريات 'دورة الوعل' التى لا زالت منتشرة فى كمبوديا حتى زماننا، وهى معلومة غريبة حتى إننا أحجمنا عن الاعتماد عليها، ونذكرها على سبيل التوثيق فحسب.

[145] ونلاحظ كذلك صور الحمل التى تنقش على كتاب الأختام السبعة لعلامات الساعة الصغرى *apocalypse*، وتتبنى اللامية التبتية كذلك سبعة أختام غامضة، وهى مصادفة لا يجوز أن تُعدّ عرضية.

[146] ويقال إن جبل قاف لا وصول له برا ولا بحرا، وقارن ذلك بما قيل عن جبل مونتسالفات، ويكنى عن قاف كذلك 'بجبل الأولياء والقديسين' الذى قد يكون له علاقة 'بجبل الأنبياء' عند آن كاثرين

وعادة ما تكون منطقته معزولة عن الإنسانية المعتادة شأنها شأن 'الفردوس الأرضى'، وتقع خارج مطال المصائب التى تجتاح البشر إبَّان نهاية دورة زمنية. وهذه المنطقة حقا هى 'الوطن الأسمى'، وهو كما تقول متون **فيدية** و **أفيستية** أنه لابد أن يكون منطقة قطبية بالمعنى الحرفى أيا كان موضعه أثناء حقب مختلفة من تاريخ الإنسان، ولكنه يظل قطبيا بالمعنى الرمزى على الدوام كى يمثّلُ المحور الثابت الذى يدور حوله كل شىء.

وكان الجبل يمثل بشكل طبيعى 'مركز العالم' قبل قعقعة العصر الحديدى **كالى يوُجا**، أى حينما وجد تحت السماء كما كان أبدًا، ولم يكن به كهوف ومغارات تحت الأرض، وكان ذلك مناظراً لحاله الطبيعى بعيدا عن حال حقبة الغموض التى كانت بمثابة انقلاب للنظام السائد، كما أن لكل من رمزى الجبل والكهف سببٌ للوجود الذى يكمل فيه أحدهما الآخر[147]، ثم إن الكهف قد يُرى كما لو كان يحتل قلب الجبل بكامله أو يحتل أسفل المكان الذى يستقر عليه الجبل.

وهناك رموز أخرى فى التراث القديم تمثل 'مركز العالم' ربما كان أعجبها رمز السُرَّة [148]، وهو رمز متداول فى كثير من الشعوب، وتعنى الكلمة اليونانية ***umbilicus*** سُرَّة، ولكنها تعنى كذلك كل ما كان مركزيا بشكل عام وخاصة محور العجلة أو 'سرتها' بالمعنى الفنى. وتعنى كلمة نابهى السنسكريتية المعنى ذاته وتنطوى على الإحالات ذاتها، كما تقوم كلمات مختلفة فى الكلتية والجرمانية بالوظيفة نفسها وتُشتَقُّ من الجذر ذاته، والذى يظهر فى شكل ***nav*** أو ***naf*** فى لغة ويلز[149] وتتضح علاقتهما بالألفاظ المذكورة، وتعنى كليهما 'رئيس'، وأحيانا تُطلق على

....

إيمَّريتش.

147 ويُرمَزُ إلى هذا التكامل بمثلثين أحدهما مقلوب على الآخر بما يمثل خاتم سليمان، كما يضاهى الرمح والكأس اللذين ورد ذكرهما آنفا، كما تناظره رموز كثيرة أخرى.

148 وقد كتب *W.H. Roscher* عملا عنوانه *Omphalos, eine Philologische, Archaologische, Volkskundliche Abhandlung iiber die Vorstellungen der Griechen und Anderer Volker vom 'Nabel der Erde',* Leipzig: B.G. Teubner, 1913. جمع فيه عددا معتبرا من الوثائق التى تبرهن على هذا لأناس مختلفين تماما، ولكنه أخطأ حين ادعى أن هذا الرمز يتعلق بفهم الشعوب لشكل الأرض، وتصور أنها مسألة اعتقاد بوجود مركز للأرض بمعنى مادىٍ شديد الكثافة، ويدل على سوء فهمه للمعانى الأعمق فى الرمزية، وسوف نعكف فيما يلى على الاقتباس من *J. Loth* من كتاب له بعنوان *'L'Omphalos chez les Celtes',* نشر فى *La Revue des Etudes anciennes* , July-September 1915.

149 وتظهر فى الألمانية فى لفظ *Nabe* بمعنى محور ولفظ *Nabel* بمعنى سُرَّة، وتظهر فى الإنجليزية فى كلمتى *nave* و*navel* بالمعنيين ذاتهما. وتشتق الكلمة اليونانية *omphalos* واللاتينية *umbilicus* من تعديل بسيط على الجذر نفسه.

الرب، وكذلك على فكرة المبدإ المركزى الذى نعبر عنه هنا[150]. ومعنى ’السُرَّة *hub*‘ له أهمية عظمى فى سياقنا حيث إن العجلة التى تدور حول محور ساكن هى رمز العالم فى كل أين، وهو رمز يكاد يضاهى الصليب المعقوف وظيفيا، لكن محيط التجلى لا يتبدى فيه حيث إن المركز فحسب هو الظاهر وليس تجلى العالم بل المبدأ بالنسبة إلى العالم.

ويصح رمز السُرَّة على موضع يتوسط منطقة محددة، وسيكون بمعنى المركز الروحى بالطبع وليس الجغرافى رغم أنهما قد يتطابقا أحيانا، وسيكون فى هذه الحالة صورة ’لمركز العالم‘ عند من يعيشون فى هذه المنطقة مثلما كان تراثهم صورة مُعَدَّلة للتراث الأولانى تناسب أفهامهم وأحوال وجودهم. وأشهر السُرَرِ كافة تلك التى توجد فى معبد دلفى الذى كان المركز الروحى لليونان القديمة[151]، وسوف نقتصر على ذكر أن مجلس أمفيكتيون كان يجتمع فى دلفى مرتين فى العام، وأن ذلك المجلس كان يجمع ممثلى الشعوب الهللينية، وكان بمثابة الصلة الوحيدة الفعالة بين تلك الشعوب التى كان تراثها أقوى صلة بينها.

وقد كان التمثيل المادى للسرَّةِ حجرا مقدسا يسمونه ’بايتيل *baetyl*‘، وهى كلمة تبدو كما لو كانت الكلمة العبرية ’بيت الرب بيت إيل‘ ذاتها، وهو الاسم الذى أسبغه يعقوب على الموضع الذى تجلى فيه الرب فى الرؤية. ’واستيقظ يعقوب من نومه وقال حقا إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء، وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه وصب زيتا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولا كان لوز‘ التكوين 28، 16-19، وقد عالجنا معنى كلمة لوز فيما تقدم، وكذلك بيت إيل الذى تحول فيما بعد إلى ’بيت الخبز بيت لحم‘ بمعنى بيت الطعام، وهو المدينة التى ولد بها المسيح عليه السلام[152]، كما أن العلاقة الرمزية بين الحجر والخبز تستحق التأمل[153]. فنشير إلى أن اسم ’بيت إيل‘ ليس الموضع بل الحجر

[150] ويسمى آنجى فى ريجفيدا ’سرة الكون الكلى‘ وهو ما يرجعنا إلى الفكرة ذاتها، فالصليب المعقوف رمز لآجنى كما نوهنا سلفا.

[151] وقد كان فى اليونان مراكز روحية أخرى ولكنها كانت مخصصة للتربية الروحية والأسرارية، وكان من بينها معبدا إليوزيس وساموثراس، وكان معبد دلفى يتميز بدور اجتماعى يهتم بشئون الشعب الهللينى ككل.

[152] وهناك تماثل صوتى بين *Beit-Lahem* و*Beit-Elohim* فى متن سفر التكوين.

[153] وقد جاء فى سفرى متى ولوقا 4، 3 ’فتقدم إليه المجَرِّبُ وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا‘، ولهذه الكلمات معنى غامض يتعلق بأن المسيح عليه السلام كان من شأنه أن يحقق ذلك التحول ولكن فى نطاق الروح لا المادة كما طلب منه المجَرِّب، ويشاكل النطاق الروحى مقلوب النطاق المادى، وآية الشيطان هى أنه يجذب كل شيء إلى أسفل، فالمسيح ذاته كان تجليا للكلمة أى

ذاته، وهذا الحجر الذي اقمته عمودا يكون بيت الله، التكوين، 28، 22، وهكذا كان ذلك الحجر هو 'موئل الرب ميشكان' حسب التسمية التى أضفيت بعد ذلك على 'تابوت العهد'، وهو مقام شكيناه. ويرتبط كل ذلك بشكل طبيعى 'بالنفوذ الروحى باراكوث'، وحين نتحدث عن الاعتقاد فى الحجر فيجب أن نعلم أن الحجر ليس مناط الاعتقاد بل هو مقام الرب الذى يتخذه سكنا.

وقد يكون الحجر الذى يمثل السُرَّةَ على شكل عمود كما كان حجر يعقوب، ويحتمل أن يكون بين الكلتيين 'أعمدة شعائرية *menhirs*' بالمعنى ذاته، وقد كانت العرافة تجرى بجوار تلك الأعمدة مثلما كان يجرى فى دلفى، وتفسرها حقيقة أنها كانت تُعَتَبَرُ موئلا للآلهة، أو هى 'بيوت الأرباب'، والتى تتصل بشكل طبيعى 'بمركز العالم'. ويمكن أن تُمَثَّلَ السُرَّة كذلك على شكل مخروط مثل حجر سيبيل الأسود، والمخروط تجريد للجبل المقدس رمز 'القطب' أو 'محور العالم'، أما الشكل البيضاوى فيرمز مباشرة إلى 'بيضة العالم'[154]، ونضيف إلى ذلك أن السُرَّة التى تكون غالبا من الحجر تتخذ أحيانا شكل القرن الذى يذكرنا بالجبل المقدس، فكانوا فى الصين على سبيل المثال يبنون تلَّة على شكل هرم رباعى من أرض 'الإقطاعيات الخمس' فى مركز كل إقطاعية منها، وتناظر الوجوه الأربعة للهرم الجهات الأصلية الأربع، وتناظر قمته المركز ذاته[155]. والغريب أن فكرة 'الإقطاعيات الخمس' موجودة فى أيرلندا أيضا، وكانوا يرفعون عمود شيخ القبيلة فى مركز مضارب كل قبيلة على المنوال ذاته[156].

وتمدنا أيرلندا بأفضل المعطيات عن السُرَّة بين الشعوب الكلتية، فقد كانت تنقسم إلى خمس ممالك كانت أحدها تسمى ميدى *Mide* من أصل الكلمة الكلتية *medon* التى تضاهى الكلمة اللاتينية *medius*[157]. وقد تكونت ميدى من أراضٍ مغتصبة من الممالك الأربعة

....

'الخبز الحى الذى نزل من السماء'، وقد أجاب بأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، فقد استبدل العهد الجديد الخبز ببيت الرب، وقد كان ذلك سببا فى انقطاع النبوءات. وقد يكون من المثير أن نذكر التماهى بين الخبز و'الجسد *flesh*' فى الكلمة العربية 'لحم' والعبرية '*lehem*'، وأنها تعنى 'الجسد' وليس 'الخبز'.

[154] وأحيانا ما تلف حية على سُرَرٍ يونانية بعينها، وتوجد هذه الحية الملفوفة على رءوس أعمدة حدودية كلدانية، ويمكن أن تكون هذه الأعمدة كذلك 'بياتل baetyles'. كما أن الحجر شأنه شأن الشجرة رمز 'لمحور العالم' بشكل عام، وخاصة عند الكلتيين والمصريين القدماء. وأحد الأمثلة المهمة للسرة *Omphalos* تلك التى فى كيراماريا، وشكلها العام عبارة عن مخروط غير منتظم يحمل على أحد جوانبه صليبا معقوفا، وقد أورد *J. Loth* صورة لها ضمن مجموعة صور من نفس النوع فى كتابه المذكور سلفا.

[155] ويحمل عدد خمسة معنى رمزى مخصوص فى التراث الصينى.

[156] قانون بريهون *Brehon* عن *J. Loth*.

[157] لاحظ كذلك أن الصين تسمى 'الإمبراطورية الوسطى'.

الأخرى، وأصبحت المقر الشرعى لملك أيرلندا الأعظم، والذى خضع له باقى الملوك[158].
ويقوم عمود عملاق يسمونه ''سُرَّةُ الأرض فى مدينة *Ushnagh* فى مركز المملكة تماما، كما يسمى أيضا 'حجر التقسيم'، فهو القاعدة التى يقاس منها حدود الممالك الأربع الأصلية، والتى تلتقى فى مملكة ميدى. وقد كان يقام هناك اجتماع عام فى أول مايو قريب الشبه باجتماعات الدرويديين فى 'مقرهم المركزى المقدس' فى بلاد الغال *Gaul* فى أرض كارنوتس *Carnutes*، ويثبت التشابه هنا مع اجتماع الأمفيكتيين فى دلفى.

ويَرجعُ تقسيم أيرلندا إلى أربعة ممالك ومملكة مركزية حيث يقيم الحاكم الأعظم إلى تراث موغل القِدَم، وقد كان ذلك ما دعا إلى إطلاق اسم 'جزيرة السادة الأربعة *Isle of the four Masters*' على أيرلندا[159]، ولكن هذا الاسم إضافة إلى اسمها الآخر 'الجزيرة الخضراء *Erin*' قد أطلقت على جزيرة بعيدة فى أقصى الشمال تسمى 'أوجيجيا *Ogygia*' أو بالحرى 'ثول *Thule*'، ولم تعد معروفة حاليا وربما اختفت، ولكنها كانت أحد المراكز الروحية بل ربما كانت المركز الرئيس فى زمانها. وينتشر اسم 'جزيرة السادة الأربعة' حتى الصين، فيقول متن طاوى قديم 'إن الامبراطور ياو قد تجشم عناء شديدا واعتقد مخلصا أنه قد حكم البلاد بشكل مثالى. إلا أنه بعد زيارته للسادة الأربعة فى جزيرة بعيدة تسمى كو شى، ويسكنها 'ناس حقيقيين *true men*' قد التحقوا 'بالحال الأولانى' أدرك أنه قد أفسد كل شىء، فقد اكتشف أن المثالى ليس إلا 'اللافعل' الذى يعيش به عظماء الرجال[160] الذين يسمحون للعجلة الكونية بالدوران'[161]. وقد تماهى 'السادة الأربعة' فى تراث الهند والتبت مع المهراجات الأربعة العظام' الذين حكموا الجهات الأربع، ويناظرون العناصر المادية الأربعة[162]، فى حين يقيم السيد الأسمى فى الجبل المقدس، ويمثل ' الأثير أكاشا' أو 'الجوهر الخامس *quinta essentia*' عند الهرامسة، وهو العنصر الأولانى الذى

---

[158] وقد كانت مدينة تارا عاصمة مملكة ميدى، وتعنى هذه الكلمة فى السنسكريتية 'نجم'، وعلى الأخص 'النجم القطبى'.

[159] وقد كان اسم القديس باتريك الذى يُعرف فى شكله اللاتينى فى الأصل كوثريدج *Cothraige*، ويعنى حرفيا 'سادن الأربعة'.

[160] فالإنسان الحق موقعه المركز، ولا يشارك فى حركة الأشياء، إلا أنه يوجه هذه الحركة بحضوره فحسب، حيث إن 'أعمال السماء' منعكسة فيه.

[161] تشوانج تسو، الباب الأول، ترجمة الأب فيجر إلى الفرنسية، ويقال إن الإمبراطور ياو قد حكم عام 2356 ق.م.

[162] كما يناظر ذلك 'الأوتاد الأربعة' فى الجوانية الإسلامية.

انبعثت منه العناصر المادية الأربعة[163]. وتنتشر عقائد مناظرة فى وسط القارة الأمريكية.

[163] وقد تمثَّل هذا العنصر الأولانى فى أشكال الصليب مثل الصليب المعقوف بالنقطة المركزية، وتناظر الفروع الأربعة للصليب العناصر الأربعة والجهات الأصلية الأربع، كما يرمز إلى الرباعيات عموما فى كل تجلياتها.

10

أسماء المراكز الروحية ورموزها

يمكن ذكر كثير من الأديان التى تتفق مع ما تعلق 'بالوطن الأسمى'، وربما كانت تسميته باسم قديم آخر أوغل قِدَمًا من تسمية باراديشا، وهو اسم تولا *Tula* الذى اشتق منه اليونانيون اسم *Thule*، والتى ربما كانت فى الأصل 'جزيرة السادة الأربعة'. وقد أُسبِغَ اسم تولا على مناطق متعددة، حتى إنه لا زال ينتشر فى روسيا ووسط أمريكا حتى الآن، وهو ما يؤدى إلى استنتاج أن كلا من هذه المناطق كان فى الماضى السحيق قاعدة لسلطة روحية منبثقة عن تولا الأولانية القديمة. ونعلم أن تولا المكسيكية قد انحدرت من التولتيك *Toltecs* الذين جاءوا من آزتلان *Aztlan* كما يقال، وهى 'الأرض التى فى وسط الماء' التى ليست إلا قارة أطلانتيس، وجاء معهم من وطنهم اسم تولا، وأصبحت المركز الذى أرادوا أن يعوضوا به قارتهم المفقودة[164]. إلا أنه يجب التمييز بين تولا الأطلنطية وتولا القطبية *Hyperborian*، وقد كانت تولا القطبية تمثل المركز الروحى الأسمى طوال مجمل 'عصر الإنسان مانفانتارا' الحالى، وكانت هى 'الجزيرة المقدسة' بلا منازع حيث كانت فى الأصل فوق القطب الشمالى حرفيا. وقد حملت كل الجزر المقدسة الأخرى أسماء ترادف أسماءها رغم أنها كانت صورة لها فحسب، ويصح القول ذاته عن التراث الأطلنطى الذى حَكَمَ الدورة التاريخية الثانية من مانفنتارا[165].

وتعنى كلمة تولا فى السنسكريتية 'ميزان *scales*'، وتدل على أحد علامات دائرة البروج *Libra*، كما أن هناك تراثا صينياً يقول إن الميزان السماوى كان فى الأصل هو الدب الأكبر، وهذه مسألة مهمة حيث إن الرمزية التى ترتبط بالدب الأكبر هى أقرب ما يمكن إلى النجم

[164] والعلامة الإيديوجرافية لكلمة *Aztlan* أو *Tula* كانت طائر البلاشون، وقد قام طائرا البلاشون واللقلق بهذا الدور فى الغرب، كما قام طائر أبو منجل بالدور نفسه فى الشرق، وقد رسمت الطيور الثلاثة كشعار للمسيح عليه السلام، وكان أبو منجل فى مصر القديمة رمزا لتحوت، أى الحكمة.

[165] وقد نجمت مصاعب شتى فى تحديد نقطة التقاء التراثين القطبى والأطلنطى نتيجة تبديل الأسماء وتصحيفها، ورغم ذلك فليست المسألة مستحيلة الحل.

القطبى[166]، ولكننا لا نملك أن نستطرد فى هذا الموضوع هنا، فهو يتطلب دراسة خاصة[167]. وهناك ما يدعو إلى البحث فى الصلة بين الميزان القطبى وميزان البروج، ويُتخذ الأخير رمزا 'للقيامة *Judgement*'، كما يُستفادُ مما قيل عن مَلكى صَادَق والميزان كرمز للعدل أنه يجعل اسم ميزان تولا مفهوما كمركز روحى أسمى.

وتسمى تولا كذلك 'الجزيرة البيضاء'، ويرمز اللون الأبيض إلى السلطة الروحية، فيرمز الهنود الأميريكيون إلى آزتلان بجبل أبيض، وتنتمى هذه الرمزية أصلا إلى تولا القطبية و'الجبل القطبى'. ويرى الهندوس أن 'الجزيرة البيضاء شفيتا دفيبا' التى تقع فى أقصى الشمال[168] هى 'موئل المباركين'، وهو ما يجعلها مناظرة 'لأرض الأحياء'[169]. إلا أن هناك استثناءً فى التراث الكلتى يتحدث عن 'جزيرة خضراء' باعتبارها ' جزيرة الأولياء والقديسين' أو 'جزيرة المباركين'[170]، ويرتفع فى وسط هذه الجزيرة 'جبل أبيض'، ويقال إنه لم يَمَسّهُ فيضانٌ منذ نشأته[171]، وتتشح قمة الجبل بلون بنفسجى[172]، ويسمى كذلك 'جبل الشمس' ويساوى جبل ميرو، وهو 'الجبل الأبيض متشحا بالخضرة' نتيجة موقعه وسط البحر[173]، ويتلألأ على قمته مخروط أبيض.

ونضيف إلى التسميات المختلفة للمراكز الروحية مثل 'الجزيرة البيضاء' التسميات التى يمكن أن تناسب المركز الأسمى والمراكز الفرعية، ومنها تسميات أطلقت على بلاد ومدن

---

[166] والدب الأكبر فى الهند هو سابتا ريكشا، أى موئل حكماء الفيدا السبعة، ويتسق ذلك بشكل طبيعى مع التراث القطبى، فى حين يحل التراث الأطلنطى محلها كوكبة الثريا *Pleiadis* التى تتكون من سبعة أنجم، كما أن اليونانيين كانوا يعتبرون نجوم الثريا بنات أطلس، وقد أُطلِق عليهن اسم *Atlantides*.

[167] وإلحاقا بما قيل سلفا عن التشابه الصوتى بين *Meru* و*Maros* فمن العجيب أن قدماء المصريين قد أطلقوا على كوكبة الدب الأكبر اسم 'كوكبة الفخذ'.

[168] وشفيتا دفيبا قسم من ثمانية عشر جزءا من جامبو دفيبا.

[169] ويذكرنا ذلك 'بجزيرة المباركين' فى الغرب القديم، إلا أن هذه الجزر تقع نحو الغرب مثل 'جزيرة هيسبيريديس'، وتعنى *hesper* فى اليونانية واللاتينية 'المساء' أى الغرب، وهو ما يشير إلى تراث أطلنطى فى الأصل، والذى يذكرنا بدوره 'بالسماء الغربية' فى التراث التبتى.

[170] وقد أطلق اسما 'جزيرة الأولياء والقديسين' و'الجزيرة الخضراء' على أيرلندا فى عصر متأخر، وقد أطلقتا كذلك على إنجلترا. ونلاحظ كذلك أن اسم جزيرة هيليجولاند يدل على المعنى ذاته.

[171] وقد أشرنا سلفا إلى الأديان التى اهتمت بالفردوس الأرضى، 'فالجزيرة الخضراء' فى الجوانية الإسلامية و'الجبل الأبيض' معروفين ولكن لا يتكلم أحد عنهما مع الغرباء.

[172] ونقتصر هنا على الألوان الهرمسية الثلاثة وهى الأخضر والأبيض والأحمر، والتى تناولناها فى كتابنا 'جوانية دانتى'.

[173] وأحيانا ما يكتسى بألوان قوس قزح، والتى تُضاهى بمنطقة أيريس *Iris*، ويشير سانت إيف إليه فى كتابه 'بعثة إلى الهند'، وقد جاء الأمر نفسه فى رؤى آن كاترين إيمريتش. وقد يرغب القارئ فى مراجعة ما قيل سلفا عن ألوان قوس قزح والدفيبات السبع.

وأماكن تعبر عن فكرة البياض على شاكلة *Alpion* و*Alpania* و*Longa* *Alpa*. والأخيرة هى المدينة الأم لروما[174]، وقد تحمل المدن القديمة الأخرى الأسماء ذاتها، فعند اليونانيين اسم مدينة *Argos* الذى يدل على المعنى ذاته[175]، وسوف نعالج سبب هذه الظواهر فيما يلى.

ولا زال هناك ما يُقال عن تسميات المراكز الروحية باعتبارها جُزُرا تحيطُ 'بالجبل المقدس'، وقد يوجد مثل هذا المكان فى الواقع ولكن ليست كل 'الأراضى المقدسة' جُزُرًا، فلا بد أن لها مغزىً رمزيًّا مشتقا من التاريخ المقدس، والذى يترجم بطريقته حقائق علوية بموجب التناظر بين الأسس الرمزية، والذى يُوحِّدُ العوالم فى اتساق كلى. والفكرة التى تثيرها التسميات المطروحة هى 'الثبات' بالضرورة، والتى تعبر أساسا عن 'القطب الساكن'، والجزيرة التى تظل صامدة فى تلاطم الموج الذى يمثل اضطراب العالم البرانى الظاهر، ولا مناص من أن يعبر المرء 'بحر الأهواء' حتى يصل إلى 'جبل الخلاص' و'موئل السلام'[176].

---

174 ويمكن أن ترتبط كلمة *albus* اللاتينية بمعنى 'أبيض' بالكلمة العبرية *lapan* بالمعنى ذاته، ومؤنثها *Labanah* يطلق على القمر، وهو فى اللاتينية *Luna* التى تعنى كلا من 'أبيض ومنير'، ناهيك عن اتصال المعنيين ببعضهما.

175 وليس هناك إلا اختلاف بسيط فى النطق بين الصفة *Argos* وبين اسم المدينة، فاسم المدينة بلا جنس، إلا أن *Argus* مذكرة. ويذكِّر ذلك باسم السفينة *Argo* التى بناها *Argus*، وكان صاريها من شجرة بلوط من غابة *Dodona*. ويعنى الاسم فى هذه الحالة 'سريع' يضاهى بسرعة البرق، وخاصة ما انعكس منها على الفضة، رغم أن المعنى الأصلى هو 'البياض' وبالتالى 'الإنارة *luminosity*'. وتناظر 'الفضة *argent*' القمر فى الرمزية الفلكية، وتشتق من الجذر ذاته، كما أن اللاتينية *argentum* واليونانية *arguros* مشتقتان من الجذر ذاته.

176 ويقول شانكاراشاريا، وبعد أن يعبر اليوجى بحر الأهواء يتوحد مع السكينة و'الذات *Self*' بكمالها 'آتما بودهى'. والأهواء هنا تعنى كل الأمور العرضية العابرة التى تُشَكِّل 'تيار الصور'، وهى نطاق 'الماء السفلى' كما تسميه الأديان جميعا، وهو ما جعل 'السلام الأعظم' يرمَزَّ له برحلة فى 'الماء السفلى'، ولذا كانت الكنيسة فى الكاثوليكية تُشبَّه بالسفينة، كما أنها أحيانا تشبه بالجهاد، ويجوز أن تترجم بهاجافاد جيتا من هذا المنظور، ناهيك عن فكرة 'الجهاد الأعظم' فى الإسلام. ولنضف إلى ذلك 'السير على الماء' الذى يرمز إلى السيطرة على عالم الصور والتحولات، فيسمى فيشنو 'السائر على الماء'، ولذلك صلة لا يمكن تجاهلها مع ما جاء فى الأناجيل عن سير المسيح عليه السلام على الماء.

مواقع المراكز الروحية

وقد تركنا فيما تقدم مسألة الموقع الفعلى 'للمركز الأسمى'، وهو موضوع شديد التعقيد رغم أنه ثانوى من منظور تناولنا الحالى. ويبدو أن هناك سبب مهم لاستعراض عدد من المواقع تناظر دورات هى بذاتها تفاصيل من دورة أعظم تسمى 'عصر الإنسان مانفانتارا'، ولو محَّصْنا هذا العصر فى مجمله بأن نضع أنفسنا خارج الزمن فسوف نلمح هيكلا تراتبيا لابد من تأمله فى تلك المواقع بما يناظر قانون الصور التراثية التى لا تربو بذاتها عن مواءمات تناظر التراث الأولانى الذى يحكم مانفانتارا بكاملها. وعلينا أن نتذكَّر أن كثيرا من المواقع الأخرى قد تتزامن مع الموقع الرئيس، والتى ترتبط به وتعكسه فى صور شتى، وهو ما يؤدى إلى الخلط خاصة وأن تلك المراكز الفرعية أكثر منه ظهورا[177].

وقد اتخذنا فى النظر إلى النقطة الأخيرة أوجه التشابه بين لهاسا مركز اللامية وبين آجارتها. وسوف نضيف أن فى الغرب مركزين على الأقل هما روما وأورشليم، واللتان توحى مواصفاتهما الطبوغرافية بأسبابٍ مناظرةٍ لمركزيتهما، وقد رأينا فيما تقدم أن أورشليم كانت صورة لشاليم مملكة مَلكى صَادَق، كما أشرنا إلى علم 'الجغرافيا المقدسة' القديم ومواضع المدن المقدسة والمعابد الذى لم يأت اعتباطا ولكنه تحدد بقانون صارم[178]، وقد يتبدى لنا بصيصا عن الرابطة التى وحدت الفنون 'القدسية' و'الملكية' مع فن البناء[179]، إضافة إلى أن طوائف الحرف القديمة كانت طرقا أصيلة للتربية الروحية[180]. ثم إن بين تأسيس مدينة وإقامة مذهب

---

177 ويعبر سانت إيف عن المركز الأسمى باستعارة من رمزية الطاروت، وهى 'أنه يشاكل الصفر المغلق للأركانات الاثنتين وعشرين'.

178 وقد جاء فى كتاب تيمايوس *Timaeus* لأفلاطون إشارات ملغزة إلى العلم المقصود.

179 راجع ما تقدم عن لقب 'الكاهن الأكبر *Pontifex*' وتعبير 'الفن الملكى' الذى حفظته الماسونية الحديثة.

180 وقد كان يانوس *Janus* عند الرومان ربُّ التربية الروحية فى الأسرار ورب طوائف الحِرَف *Cloggegia fabrorum*، ولهذه الازدواجية مغزى عميق فى سياقنا.

أو صورة تراثية تتلائم مع أحوال بعينها فى الزمان والمكان صلة تجعل المدينة رمزا للمذهب[181]. ومن الطبيعى أن معظم الاحتياطات اللازمة فى تخطيط مدينة ينتوى أن يجعل منها عاصمة لشطر معلوم من العالم تستلزم تدقيقا وتسجيلا لظروف إنشائها[182].

ورغم أننا لا نود أن نسهب فى طرح أمور ثانوية غير مباشرة، إلا أننا سنذكر أن مركزًا من النوع المذكور قد وُجِدَ فى جزيرة كريت فيما قبل الهللينية[183]، ويبدو أن كثيرا منها قد أنشئ فى مصر ربما فى عصور مختلفة مثل طيبة وممفيس[184]، وقد سُمِّيَت باسم طيبة مدينة يونانية، وهو أمر مثير فى تسمية مركز روحى بموجب صلته الواضحة بطيباه العبرية، وهى تعنى أساسا 'سفينة الطوفان'. وهى بدورها صورة أخرى للمركز الروحى الأسمى، وعلى الأخص فيما تعلق بحفظ التراث فى حالة كمون[185] أثناء المرحلة الانتقالية بين دورتين تفصل بينهما جائحة كونية تدمِّر الحال السابق للعالم كى تُخلى الساحة لعالم جديد[186]، وقد كان دور نوح عليه السلام فى

[181] وسوف نقتبس مثلا من رمزية آمفيون *Amphion* الذى بنى أسوار طيبة بأنغام قيثارته، وسوف نرى لاحقا ماذا يعنى اسم 'طيبة *Thebes*'. ومن المعلوم عموما أهمية القيثارة فى الأورفية والفيثاغورية، ولكن من المفيد ملاحظة أن الأدوات الموسيقية فى التراث الصينى تقوم بالدور ذاته، وهو ما يجب أن يفهم هنا من منظور رمزى.

[182] وقد طرحنا أمثلة شتى فيما سلف عن الأسماء، وخاصة التى اتصلت بفكرة 'البياض'، وسوف نتناول غيرها فيما يلى، كما يمكن أن يقال الكثير عن الأشياء المقدسة التى لها قدرة حتى فى الحفاظ على المدينة فى أحوال خاصة على شاكلة حائط طروادة الأسطورى *Palladium*، ودروع سالى *Salii* التى أحاطت بروما، ويقال إنها بنيت من نيازك سقطت من السماء فى عهد نوما *Numa*، وكانت مدرسة سالى تتكون من اثنى عشر جناحا، وقد كانت هذه الأشياء دعامات 'للنفوذ الروحى' للمذهب على شاكلة تابوت العهد عند العبرانيين.

[183] واسم مينوس *Minos* ذاته برهان كاف فى هذا الشأن، مثلما كان مينا *Menes* فى مصر، ويعيدنا ذلك إلى ما قيل عن نوما *Numa* فى روماً وإلى مغزى اسم شلوموه *Shlomoh* فى أورشليم.
أما عن جزيرة كريت فقد اتَّخَذَ 'قصر التيه *Labyrinth*' رمزًا خاصًّا لبنائى العصور الوسطى، والعجيب فى هذا الأمر أن السير على طريق المتاهة المرصوف بأحجار مميزة فى بعض الكنائس يعدّ بديلا لزيارة الأرض المقدسة لمن لا يقدرون على زيارتها.

[184] وقد رأينا كيف أن دلفى قامت بذلك الدور فى اليونان، ويوحى اسمها بالدرفيل *dolphin* وهو رمز بالغ الأهمية فى اليونان.
ومدينة بابل حالة أخرى لافتة للنظر، فاسمها *Bab-Ilu* يعنى 'باب السماء'، وهى أحد الصفات التى أسبغها يعقوب على مدينة لوز، كما يمكن أن تسمى 'بيت الرب' كما فى اسم 'بيت إيل'، ولكنها تصبح مرادفا لكلمة 'فوضى *babel*' حين يضيع التراث، وبحيث تصير مقلوبا عكسيا كرمز 'يانوس السماوى' الذى انقلب إلى 'يانوس الجهنمى'.

[185] وهذه الحالة نظيرة لبداية دورة تفقس من 'بيضة العالم'، ويحتوى جنينها على كل الإمكانات التى ستتحقق فى سياق الدورة الوليدة، وقد كانت سفينة نوح أيضا تحتوى على كل العناصر التى سوف تعمل فى استعادة العالم، وسوف تكون بذلك بذورا للحال القادم.

[186] ويتعين على 'الإنسان الكامل *Pontificate*' أن يؤمِّنَ تحول التراث من دورة إلى أخرى، فبناء سفينة نوح يحمل المعنى ذاته كجسر رمزى بين حالين مقدر لكليهما إما 'عبور البحر' أو 'خوض اليم'، وهو تعبير يحمل أوجها شتى من الرمزية.

التوراة[187] شبيها بدور ساتيافاراتا فى الهندوسية، وقد صار اسمه فيما بعد فايفساتا الذى صار مُشَرِّعُ عصره مانو. ولكن يجب أن نراعى أن الهندوسية ترجع إلى بداية مانفانتارا الحالية، أما الطوفان فكان بداية لدورة ثانوية يوُجا من المانفانتارا ذاتها[188]. ولا يمثلان الحدث ذاته ولكنهما متشاكلان[189].

ونجد أكثر من ذلك فى الارتباط القائم بين رمزية سفينة نوح وبين قوس قزح الذى ظهر بعد انحسار الفيضان، وهى علاقة واردة فى متون التوراة كآية على العهد بين الرب ومخلوقات الأرض[190]، وقد كانت السفينة تبحر على محيط 'المياه السفلية'، ثم ظهر قوس قزح 'بين السحاب' فى اللحظة التى قُدِّرَ فيها بداية إعادة تأسيس النظام وتجديد كل شىء، أى فى منطقة 'المياه العلوية'، وهى إذن علاقة تشاكلية بالمعنى المنضبط، فالصورتين انعكاس مقلوب، إحداهما محدبة فى القوس والأخرى مقعرة فى السفينة، وتتكامل كل منهما مع الأخرى بحيث يكونان صورة دائرة كاملة أو هى 'دورة' منقسمة إلى نصفين[191]. وقد اكتمل هذا الشكل واقعيا فى بداية الدورة، وهو القطاع الرأسى فى كرة يُرمَزُ إلى قطاعها الأفقى بدائرة الفردوس الأرضى[192]. وقد انقسمت فيما بعد بأنهار أربعة تنبع من 'الجبل القطبى'[193]. ولابد أن يكون التأسيس قد اكتمل فى نهاية الدورة ذاتها، إلا أن الدائرة قد تحولت إلى مربع[194] إشارة إلى

---

[187] كما يُقالُ إن نوحَ عليه السلام قد كان أول من زرع كروما، التكوين 9،20، وِيجِب أن تُضاف هذه الحقيقة إلى ما قيل سلفا عن النبيذ فى الشعائر الدينية التى ترمز إلى قربان ملكى صادق.

[188] وقد كان أحد المعانى التاريخية للفيضان التوراتى يتعلق بالجائحة الكونية التى اجتاحت أتلانتيس فأخفتها.

[189] وتنطبق الملحوظتان بشكل طبيعى على كل الأديان التى يُكّونُ الفيضان أحد عناصرها، والتى تنتشر فى كثير من الشعوب، ويتعلق بعضها بدورات مخصوصة كما كان الحال عند اليونانيين فى فيضان *Deucalion* و*Ogigys*.

[190] سفر التكوين 12،9-17.

[191] ويناظر هذين النصفين 'بيضة العالم' التى تمثل قمتها 'المياه العلوية' وتمثل 'المياه السفلية' النصف الأسفل منها، وهو ما يسميه فابر دوليفيه *Fabre d'Olivet* 'تراكم الأنواع *accumulation of the species*'. كما أن الشكلين المتكاملين يمكن أن يتخذا شكل هلالين مقلوب أحدهما على الآخر حيث يكون السفلى انعكاسا متماثلا للعلوى، وهى رمزية يانوس، وأحد رموزه السفينة. وكذلك نشير إلى التساوى الرمزى بين الهلال والكأس والسفينة حتى إن كلمة 'وعاء *vessel*' تعبر بالتساوى عن الكأس والسفينة. وقد كان تعبير 'الوعاء المقدس' شائعا فى طائفة الكأس المقدس *the Grail* فى العصور الوسطى.

[192] وترمز الدائرة إلى 'بيضة العالم'، فالفردوس الأرضى واقع فى الفاصل الأفقى بين السماء والأرض.

[193] ويرى القباليون أن الحروف الأربعة التى تتكون منها كلمة برْدس تناظر الأنهار الأربعة، وقد ذكرنا تناظرها فى موضع آخر مع أنهار الجحيم الأربعة. راجع *The Esoterism of Dante, ch.8.*

[194] ويناهز ذلك استبدال رمز نباتى برمز معدنى، وقد عالجناه فى موضع آخر *The Esoterism of Dante, ch.8*، وتناظر أبواب أورشليم السماوية البروج الاثنى عشر ومواقعها وعلاماتها، كما تناظر الاثنتى عشرة قبيلة فى بنى إسرائيل، ولم يبق إلا تحويل دائرة البروج بعد توقيف دوران العالم وتثبيته فى حال نهائية، أى الوصول به إلى الحال الأولانى القديم حينما يكتمل تجلى مراحل الدورة.

اكتمال إمكانات ما يسميه الهرامسة 'تربيع الدائرة *squaring of the circle*'، وتمثل الكرة تنامى الإمكانات بتوسيع نطاق نقطة المركز الأولانى، وتتحول إلى مكعب حينما يكتمل ذلك التنامى، ويتحقق التوازن النهائى للدورة المذكورة[195].

....

و'شجرة الحياة' التى تنمو فى مركز الفردوس الأرضى تنمو كذلك فى مركز أورشليم السماوية، وتثمر اثنتى عشرة ثمرة، وليست هذه الثمار بعيدة عن الأديتات *Adityas* الاثنتى عشرة، كما أن 'شجرة الحياة' هى الجوهر الذى لا ينقسم حيثما كانت.

195 ويجوز القول بأن الكرة والمكعب يتناظران مع الحركة والسكون على التوالى، فالأوجه الستة للمكعب تتجه إلى المحاور الثلاثة للمكان، وتشاكل الأذرع الستة للصليب الذى ينبثق من مركز كرة، ومن السهل رسم توازيات مثل الرمز الماسونى 'مكعب الحجر'، والذى له شأن بمعنى الاكتمال والكمال، أى تحقق ثمرة الإمكانات التى تعنيها حال بعينها.

12

خواتيم

يَبرُزُ استنتاج واحد بوضوح كامل بشهادة كل الأديان بأن هناك 'أرضا مقدسة' بلا منازع، أى مثال أول لكل الأراضى المقدسة، وأنه مركز روحى أسمى يتبعه الآخرون، فالأرض المقدسة هى كذلك 'أرض الأولياء والقديسين' و'أرض المباركين' و'أرض الأحياء' و'أرض الخلود'. وكل هذه التعبيرات تامة التساوى، وسوف نضيف إليها 'أرض الصفاء'[196] الذى أطلقه أفلاطون على 'موئل المباركين'[197]، وعادة ما يكون هذا الموئل قائما فى 'العالم اللامتجلى'، ولكن ذلك لن يُفهَم إلا بتَذَكّر أن الأمر نفسه ينطبق على 'البنى التراتبية' التى تتحدث عنها كل الأديان، والتى تناظر على الحقيقة مراتب السالكين فى طرق التربية الروحية[198].

والحقبة الحالية فى دورتنا الأرضية أى فى العصر الأسود كالى يوُجا تشهد مكافحة سدنة التراث لإخفائه عن الدنيا، فى حين لا ينضم إليهم إلا الذين يملكون المؤهلات الكافية. فهل لو كان موقعها معروفا سوف تُفهَمُ حرفيا أو رمزيا فحسب أو بكليهما معا؟ ونجيب على ذلك بأن

---

[196] وُجودو أرض الصفاء' مدرسة بوذية فى اليابان تذكرنا بالأخوَّةِ الإسلامية 'إخوان الصفا'، ناهيك عن طائفة ' المتطهرين *Cathars* فى العصور الوسطى فى الغرب، والذى يعنى اسمها 'نِقاء'، ومن المحتمل أن يكون أصل كلمة ' صوفى' فى التربية الروحية الإسلامية الذى يعنى من وصل إلى المقام الأسمى للسالكين قد جاء بالمعنى ذاته، شأنهم فِى ذِلك شأن اليوجيين فى التراث الهندوسى. والحقِ أنِ التأصيل الشائع ينسبه إلى 'الصوف' الذى تصنع منه المرقعة التى يفوز بها الصوفى من شيخه ليس مقنعا بما يكفى، ونسبته إلى الكلمة اليونانية *sophos* بمعنى 'حكيم' أكثر إقناعا إلا أنها جاءت على لسان غَير عربى، ولذا كان من المقبول أن نرضى بتفسيره من معنى 'الصفاء'.

[197] وقد ورد وصف رمزى لأرض الصفاء فى أواخر محاورة فايدو *Phaedo* لأفلاطون، وأشرنا قبلاً إلى التوازى الذى يستنتج بين هذا الوصف وما طرحه دانتى 'للفردوس الأرضى'، راجع *John Alexander Stewart, The Myth of Plato, 1905.*

[198] زد على ذلك أن العوالم المختلفة ليست أماكن بل حالات رغم أنها توصف فى الرمزية الهندوسية بكلمة لوكا *loka* السنسكريتية التى تطلق على هذه العوالم، والتى تضاهى كلمة *locus* اللاتينية التى تنطوى على معنى رمزى مكانىّ. كما أن هناك رمزية زمنية توصف بها أحوال هذه العوالم الواقعة فى صور الدورات المتتابعة، رغم أن الزمن والمكان على الحقيقة ليسا إلا حالات لصيقة بها، حتى إن التتابع هنا صورة لسلسلة السببية.

الحقائق الجغرافية والتاريخية ليست إلا رموزا، وهو ما يعنى بوضوح أنها لا تُغفِلُ شيئا من الحقائق بل تضفى عليها معانٍ علوية إضافة إلى الحقيقة الواقعة[199].

ولا ندَّعى أننا طرحنا كل ما يمكن قوله فى الدراسة الحالية، والحق أننا بعيدون عن ذلك ببونٍ شاسع، فالعلاقات التى أرسيناها لابد وأن تطرح كثيرا غيرها، ولكن هذه الدراسة رغم كل شيء قد ذهبت قطعا إلى أبعد مما سبقها، وربما خطر للبعض أن يؤنبنا على ذلك. إلا أننا لا نعتقد أننا جاوزنا فى القول أكثر مما ينبغى، ونحن قانعون بأنه ليس هناك ما لا يصح قوله، ولكننا قد نكون أقل ميلا إلى الجدل من كثيرين حول ملائمة نشر أمور ذات طبيعة غير معتادة. ولا حاجة لنشر ما يزيد على هذا الموجز من أجل الملائمة فحسب فى الأحوال التى نعيشها الآن، فالحوادث تترى بسرعة تجعل كثيرا من الأمور لا تتضح لأول وهلة، وقد يقع الناس فى تطبيقات غير منظورة إن لم تكن خفية تماما قبل أن يؤمنوا. ولا مُرَادَ لنا إلا البعد عن كل ما يقارب 'النبوءة'، إلا أننا نختتم باقتباس عن جوزيف دى مايستر يقول فيه 'لابد أن نستعد لحدوث أمرٍ جللٍ فى العالم الذى نرتحل فيه بسرعة متزايدة لا بد أن تستغلق فيها الأمور على الناظر، وقد تنبأت عرافة مشكوك فيها أن الحين قد حان' .

---

199 ويمكن أن نضاهى ذلك بجُمَّاع المعانى التى تترجم إليها المتون المقدسة، وليس اختلاف التفاسير على سبيل المعارضة ولا التدمير بل إنها تُكمِل بعضها بعضا فى اتساق وتوازن فى تركيب معرفىّ واحد. ومنظورنا أن الحقائق التاريخية تناظر الرمزية الزمنية وأن الحقائق الجغرافية تناظر الرمزية المكانية، وهناك على ذلك صلة بينهما كما بين الزمن والمكان، ولذا كان على أماكن المراكز الروحية أن تتغير بتغير الزمن بحسب الدورة المقصودة.

كشاف المصطلحات والأعلام